

قصص افري



تأليف ابراهيم اسعد محمد

منار حسان الدين

قصص أفری

تأليف
إبراهيم أسعد محمد



داتوش

من كل حذب جاءوا .. أتوه يحجبون .. من الشمال أتوا ، ومن الجنوب
أتوا ، من الشرق أتوا ، ومن الغرب كذلك ، سجدوا له بذلون الحياة ..
إليه إبتلوا .. داتوش أنت الإله .. أنت رب الأرباب .

لدموا إليه القرابين ، والهدايا . السمن ، والدهن ، والمسل ، كل نسيم
على قدره .. ثيرانا ، وماهزا ، وديكة .. نرتم الكهنة في محرابه .. أنت الإله
ياداتوش .. وردد الناس الترنيم .. أنت الإله ياداتوش ..

في محراب نصبوه .. فوق الرؤوس عاليا لا يذانيه أحد نصبوه .. من الذهب الخالص
صنموه .. من الذهب النقي الخالص صنموه . أشعلوا النار للقدسة عند قدميه ..
النار المقدسة للطهرة أشعلوها .. النار القدسية للطهرة صيغا .. أشعلوها .

على جانبي المحراب صفوا الآلهة .. على الجانبين أمام رب الأرباب صفوها ..

الآلهة الصغيرة على جانبي المهراب صفوها .. من الأخشاب صنعوها .. من أعين
أنواع الأخشاب نحتوها .. الآلهة الصغيرة نحتوها ..

إليها قدموا القرايين والهدايا .. جينا وخبزا قدموا .. قدموا الجبن ، والحيز
للآلهة الصغيرة .. ترسم السكينة مبتهلين .. أنتم أيضا آلهة .. وردد الناس الإبتهالات ..
أنتم أيضا آلهة .. لكن داتوش هو الإله الأكبر ، هو رب الأرباب ..
وردد الناس .. داتوش هو الإله الأكبر ، هو رب الأرباب .

من عليائه نظر .. والآلهة تنظر وترى .. ليس كمثلنا نحن البشر .. لها
طريقها في النظر .. ولها وسيلتها للرؤية .. تنابر طرقنا ، ووسائلنا نحن البشر ..
من عليائه نظر .. داتوش العظيم نظر .. إلى البتهلين نظر .. إلى الأعمى نظر ..
إلى الأبرص نظر .. إلى المقعد نظر .. إلى المستضعف نظر .. إلى كل هؤلاء
نظر .. نظر داتوش العظيم رب الأرباب .. إلى غيرهم أيضا نظر ..

إستمع إلى إبتهالات البتهلين إستمع إلى صلوات العابدين .. إستمع إلى
دعاء الداعين .. وإلى رجوات الراجين .. إلى كل هؤلاء إستمع .. وإلى
غيرهم أيضا إستمع .. وللآلهة طرقها في السمع .. ليست كطرقنا نحن البشر .

خاطب الآلهة الصغار .. داتوش العظيم خاطب الآلهة الصغار .. تكلم
بلا صوت .. شأن الآلهة في الكلام .. تكلم داتوش العظيم ..

هتفت الآلهة الصغار .. أي داتوش العظيم أنت ربنا الأعلى .. إليك أتى الناس
من كل فج .. إليك قدموا الهدايا .. الدهن ، والسمن ، والمسل .. إليك قدموا
القرايين .. الثيران ، والماعز ، والديكة .

تبسم الإله العظيم داتوش .. الإله تبسم .. إنشرح صدره بما رأى .. إنشرح
صدره بما علم .. أجل .. أنا الإله العظيم .. أنا داتوش الإله الأكبر .. وأنتم أيضا
آلهة .. لكنكم آلهة صغار .. آلهة صغار أنتم .

جاء طائر حط على رأس داتوش .. صرخت الآلهة الصغار .. الطائر على

رأس الإله العظيم .. أخرج الطائر وسخا .. إنحدر الوسخ من رأس الإله إلى وجهه
وتهاست الآلهة الصغار .. الوسخ على رأس الإله العظيم .. الدنس على وجه
الإله .. الأكبر .. الدنس ، والوسخ على رأس الإله ، ووجهه ..

كان من الآلهة الصغار من فرح .. وكان منها من سخر .. فالآلهة أحاسيس
ومشاعر .. وإن كانت كفاير أحاسيسنا نحن البشر .

جاءت أسراب الطير لهبيت .. حطت رحالها على الآلهة الصغار .. وزال
الغضب عن الإله الأصغر .. داتوش رب الأرباب زال عنه الغضب .. ضحكك
حينما رأى الوسخ .. وضحك حينما رأى الوسخ والدنس على رأس الآلهة الصغار ..
كل الآلهة الصغار غضبوا .. وضحك الإله العظيم داتوش .. والآلهة تضحك ..
بلاصوت .. ولاخلجة وجه .. ليس كمثلنا نحن البشر .

وبما كان ماحدث بعد هذا نتيجة لغضب الإله العظيم داتوش .. وربما كان
نتيجة لغضب الآلهة الصغار .. وربما كان سوف يحدث . ولو لم تغضب الإلهة جميعا .
تسلل صبي . لعله نجعل أحد خدم الآلهة ، واعتلى المهراب الأكبر يريد أن
يقنص أحد الطيور النائمة .. زلت قدم الصبي وسقط فإطاح بوعاء النار ..
النار المقدسة للطهرة سبعا . أمسكت النيران في بعض أخشاب المهراب .. وسرعان
ما امتد لهيبها إلى سائر القاعة .

فر الصبي إلى فراشه يرتعد ولم يفه بكلمة .. حينما اكتشفوا النيران كانت قدأنت
على جميع الآلهة الخشبية . إنصهر الإله الأكبر فأضحى مسخا من ذهب .. لم
يستطيعوا أن يقاوموا النيران أو يوقفوها حتى أنت على المعبد ، وأضحى أطلا لاسوداء .

مرت الأيام والناس لا آلهة لهم ، ولا معبد فيه يتحشون .. قام كاهن يدعو ..
كيف تكون مدينة بلا آلهة تحرسها ، وترعاها .

قدم الناس المال والسواعد ، وشيدوا معبدا جديدا على أنقاض المعبد القديم ..
فصبوا آلهة جديدة ، ونحتوا لها إلهة أكبر .. سموه جلاجوش .

وإجتمع الناس يحجبون .. من كل صوب أتوا .. من الشمال أتوا .. ومن
الجنوب أتوا .. من الشرق أتوا ومن الغرب كذلك .. سجدوا يذلون الجباه ..
إليه يتملون .. جلا جوش أنت الإله .. أنت رب الارباب .. قدموا إليه
الهدايا .. الدهن ، والسمن ، والعمل .. قدموا إليه القرابين .. ثيرانا ،
وماعزا ، وديكة .

استوحيت مطلع القصة من قصة لسكاتب إنجليزى أنسيت اسمه . أما فاعدا هذا
فالفكرة وجميع ما جاء بها فن إنتاجى .



صوت الإله

سأل سائل منهم أى إله هذا الاسم ؟ أى إله هذا الأبكم ؟ كيف يستمع إلى دعاء الداعين ؟ كيف يابى رجوات الآمالين ؟ كيف يعرف العسايدون رغباته ؟ كيف يتلقى المؤمنين أوامره ؟ أى إله هذا الاسم ؟ أى إله هذا الأبكم ؟ .

تلقت الكهنة إلى بعضهم يتعجبون . . . كيف يستمع الإله ؟ كيف يتكلم الرب ؟ هل يستمع الحجير ؟ هل يتكلم الذهب ؟ كيف ينطق الجماد ؟ كيف ينصت ؟ .

قال قائل منهم هذا تمثال الإله جوفوه . إصنعوا سرداباً تحت المحراب عن طريقه يصلون . هكذا يستمع الإله . . وهكذا يتكلم الرب . تشاور الكهنة فى رأى . . . تماموا فيما بينهم يتشاورون . . نساء لواء كيف يتكلم الإله ؟ هل يتحدث بأصوات

البشر ؟ بأية لغة يتخاطب ؟ هل يتخاطب بلغة البشر ؟ ماذا لو جاءهم غريب
يتحدث ؟ هل يحفل الإله ما يقول ؟ .

فكر حكيمهم في الأمر . كيف يتكلم الإله ؟ بأى صوت يتفوه ؟ بأية لغة
ينطق ؟ .. أفتأهم بأن يجعلوا له صوتاً كأصوات السماء .. قال إضربوا له
طبلاته تفهمون .. إجعلوا للطبول إيقاعات بها ترمزون . إضربوا الرضائف إيقاعاً ،
واسخطة إيقاعاً .. لقبوله إيقاعاً ، ولرفضه إيقاعاً . إجعلوا للإله طبلات لكل
ما ترغبون .. إسطنموه طبلات هادراته الإله يردد ، إجعلوا له دوياء يزيد ..
هكذا يتكلم الإله ، هكذا يتحدث .

إرتضوا الرأى ونفذوه . في ظلمة الليل إنتزعوا تماثيل الإله وجوفوه ، فتحوا فيه
وفجروه . قضوا الأيام حتى سوا السرداب ، وحفروه . إسطنموا من الطبول أحجاساً
متباينة ، تصدر أصواتاً متفاوتة . للرضاء صوت ، وللسخطة صوت . للقبول صوت ،
وللرفض صوت . لكل ما أرادوا صوت .

ذهب داعيهم بين الناس يذيع ، يوسوس في الآذان ويشيع .. هو الإله رب
الأرباب مخاطبكم .. يمد عابداكم السراء ، ويتوعد جاحدكم الضراء .. تجمع العامة
في المعبد ينصتون . إستمعوا إلى الإله يعجبون . صدر صوت هادر ، من فم الإله
الفاغر ، أنغام متباينة ، وإيقاعات متعددة .. لم يشك أحدهم أن هذا هو صوت الإله
فغضروا سجداً يرتعدون .. هو رب الأرباب يردد . هو رب الأرباب يتوعد ،
هو الذى يزيد ، هو الذى يهدد .. مرجحاً بمن إهتدى بهداه ، والويل لم خالفه
وعصاه . ركموا له يتمنون .. أنت رب الأرباب .. أنت أنت الإله الأكبر .

مرت السنون والإله الناطق تزدد شهرته .. تناقلت البلاد أخبار نبوءاته ..
وردت الألسن رواياته .. جاؤوه مسن كل فصح يتهلون ، يسمعون لأوامره ،
ويتمنون عن نواحيه . أناء الأعمى .. وأناه الأبرص كل ذى علة أناء .. جأءوه
مؤمنين بقوة ، واثقين من سطوته .. إستقر السكينة ينعمون بما يندق للتعبدون

من هدايا وقرابين ، وبما يحظون من مكانه في العالمين .. لم يكن لهم أمر لا ينفذ ،
أو مطلب يرد .. أليسوا تراجمة الإله ؟ أليسوا سدنة رب الأرباب ؟

حلت أيام إبتدعوها .. جعلوها أعيادا للإله ، فيها يأتي كل ذي حاجة ، فيها تلبي
الطلبات ، وتجاب الدعوات ، فيها يتجمع الناس يشربون ، ويأكلون ، ويمرحون . أي
أمام أولى بالمرح ؟ وأي أعياد أحق بالله من عيد رب الأرباب ؟ حلت
الليلة الكبرى ، وتدافع الناس إلى المعبد يستمعون لسكامات الإله .. يتألون بركاته
يفدقها عليهم كهنته .

لم تشاركهم السماء لهوهم ، ولا هي باركت مرحهم ، تلبدت النجوم قائمة تنذر ،
وتلاعبت الرياح بالأشجار تهدد . لكن الناس كانوا في شغل شاغل ، وما كانت
الطبيعة لتموقعهم عن التدافع ليستمعوا إلى رب الأرباب . وجاءت اللحظة العظمى
التي كانوا يباها يتوقعون .. بدأت الطبول ترسل إيقاعات حانية ، تصدر من الفم
الإله .. ألهام لهوهم عن النذير ، وتشاغلوا بأمانتهم عن الوعيد .. وما الطبيعة ؟ ..
أليست هي من صنع الإله ؟ لو شاء أثارها ، ولو شاء أخذها ، لعل الآلهة تفرح
بدورها في السماء إبتهاجا بأعياد رب الأرباب .

هدير الرعد خارج المعبد يطنى على أصوات الطبول ، وارتفعت الدقات في محاولة
هزيلة لأن تطنى على هدير السماء ، ولم تصل أصواتها إلى الآذان .. كانت عاصفة رهيبية
لم ير مثلها الناس . بدأ الخوف يدب في قلوبهم فابتهلوا إلى رب الأرباب يبتنون
صفحة ورضاء .. كلما تدانت العاصفة تزايدت أصوات الرعد ، والصواعق ، وتزايدت
معها مخاوف البتلميين .

تعجبوا كيف يطنى الرعد على صوت الإله ، كيف يسمح رب الأرباب للسماء أن
تطمس مكانته ؟ لعلهم بدأوا يشكون ، لكنهم لم يجرؤوا يجأرون .. ازدادت العاصفة
إقترابا ، وتزايد هدير الرعد ارتفاعا .. تحول الخوف في الأفتدة إلى رعب ،
والرعب إلى هلع .. زلزلت جدران المعبد ، والنازل .. ارتجت ، كأنها تلتقي

لطعام معاول هائلة .. تلت الناس حولهم ملهين يبعثون عن مهرب .. جملوا
 اصابعهم في آذانهم حذر للوث ، ومادروا أنه بهم محيط .. إستمعوا إلى جابحة
 تملأ الفضاء والكون ، وتنخبط الآذان لتصل رأسا إلى القلوب ترجفها فزعا .
 نسوا رب الأرباب ، وماعادوا يفكرون إلا في الفر .. منهم من خذلتم
 سيقانهم فكأنما سموت في الأرض .. ومنهم من إرتفع عويله وصياحه .. ومنهم
 من تدافع إلى الخارج لا يلوى على شيء ، ومنهم من أبقن بدنو أجله فراح يسكرر
 الدعوات لعل الآلهة ترحمه .. أحسوا بالوث في الهواء القدي يستنشقونه ، وفي
 الجدران التي تتأرجح حولهم ، وماعادوا يعرفون إلى أين ياجأون .. بدا إلههم
 ضيلا ، حقيرا ، لا حول له ولا قوة أمام عتو الطبيعة .. رأوا الكهنة وقد هجروا
 الإله يحاولون الفرار كالجرذان ، ولعل منهم من تنبه إلى ضعف ما كانوا يعبدون ،
 ولعل منهم من زعم أنه لو نجى لناب إلى رشده لا يعبد أحدا من دون الله .

ثم جاءت الصيحة ..

تهدم للعبد على الآلهة ، وكهنته ، وهابديه .. وإنطبقت الدور على من فيها ،
 ومالها ، لم ينج من اللعننين ذكر ، أو أنثى ، أو طفل .. انوا جميعهم إذ دوت
 الصيحة ، وأصبحوا كأن لم ينفوا بالآدم .. أشرقت عليهم الشمس ، وهم في
 اماكنهم جاثقون .

عفوا .. أحسب أنهم لم ينفوا جميعا .. أحسب أنه بقي منهم البعض .. نلة
 من الصم لم يستمعوا إلى أصوات رب الأرباب .



الفيل

هيئت كمعلق ثقافي في سفارتنا في كينيا .. لم أكن متزوجا في ذلك الوقت في حين أن معظم زملائي كانوا متزوجين ، فلم يكذب على شهر حتى وجدت أن الوقت يمر ثقيلًا بعد عملي اليومي خاصة أيام العطلات الأسبوعية أو الرسمية . نصحتني أحد الزملاء أن أقوم ببعض الرحلات إلى داخل البلاد لأتعرف عليها من ناحية ، ولأرشف عن نفسي من ناحية أخرى .

اتفقت مع أحد مكاتب السياحة لأقضي عطلة نهاية الأسبوع في زيارة لحدائق الحيوان للفتوحة فيما يطلقون عليه الآرك، أو سفينة نوح ، وهو مكان يبعد عن نيروبي بحوالي ثلاث ساعات بالسيارات ، حيث يمكن مشاهدة الحيوانات وهي على طبيعتها الوحشية دون أي حاجز ، في مساحة تربو على ثلاثمائة ميل مربع .

في اليوم المحدد ركبنا إحدى سيارات مكاتب السياحة ضمن جماعة من السائحين ؟

وتحركت بنا السيارة في حدود الساعة التاسعة صباحاً .. إلى جانبي في المقعد جلس رجل قدرت أنه تعدى الخمسين من عمره ، وإن كانت علامات القوة ماراث جاذبة عليه .

تحدثنا ، وسرعان ما علمت أنه مصري . والواقع أن هذه المصادفة كانت غريبة حيث أن زملائى في السفارة أخبرونى أن عدد المائحين للصربيين قليل جداً . على أى الأحوال فقد ازداد سرورى إذ أبى كنت أشعر بوحدة قاتلة . ولم أكن متفائلاً بهذه الرحلة .

أثبت رفيق الرحلة أنه محدث لبق ، وبدأ جلياً أنه طاف بكثير من أنحاء العالم كما أن خبراته لا حد لها ، لم أشعر بتضى الوقت طوال اثلاث ساعات حتى وصلنا إلى أبردير حيث كان من المروض أن نتناول طعام الغذاء ، ثم تقلنا سيارات خاصة ندخل بنا إلى الحديقة المفتوحة .

زلنا من السيارة فى أبردير ، وهنا لاحظت أن ريقى السفر به عرج خفيف فى سافه اليسرى . تناولنا طعام الغذاء ، ثم ركبنا السيارات فى الساعة الثانية والنصف مساءً ، ووصلنا إلى سيدة نوح أو الآرك ، فى أعماق الغابة ، حيث كنا سنقضى الليلة لنعود فى الساعة الثامنة صباحاً الى أبردير ، وسقل سيارات الباحة عائدين إلى فيروبي .

لعله يكون من المستحسن هنا أن أذكر شيئاً عن مستقرنا الأخير ، وأعني به الآرك . هو مبنى خشبي ضخم مكون من ثلاثة طوابق بنى وسط الغابة ليمس إقامة ثمانين شخصاً . فى الناحية الشرقية منه تنفجر الأشجار عن مساحة واسعة حرداء لا يثبت فيها سوى القليل من الكلا . هذه الرقة أرضها ملحية ، ولا توجد أرض ملحية أخرى فى الغابة ، لهذا تؤمها جميع أنواع الحيوانات لتعلق الأملاح ، خاصة للمنطقة الوسطى ، وهى على ما يبدو أعناها بالمح .

لأتانى احيوانات إلا مساءً ، ولهذا فإن الشركة التى تتولى إدارة الفندقى

وضعت كشافات قوية سلطتها على هذه المنطقة ، ثم ربت الامر بحيث تكون الشرفات جميعا شرقية فى الطوابق الثلاث بحيث يستطيع جميع الزوار أن يشاهدوا الحيوانات منها .

تناولنا الشاي ، وجلسنا ، رفيق وأنا ، فى الشرفة بالدور الارضى ، كان الظلام ما يزال بعيداً لهذا لم نر سوى بعض الخنازير البرية ، أم وثلاثة صغار ، تعلق وترعى . مكث الامر على هذا فترة حتى بدأت الشمس تخبى وراء الاشجار . من مكان ما ظهر ثور وحشى ضخمة الجثة ، ومرت الخنازير أمامه . دقائق أخرى ثم ظهر قطيع من الثيران الوحشية يزيد عدده على أربعة ، ما لبثت أن انضمت إلى الاول .

اكتفت الخنازير البرية بالرعى بعيداً عن الثيران التى راحت تعلق بسرور واصح التربة والاحجار لللحبة . بعد حوالى ربع ساعة اختفت الشمس وبقى الملق متردداً يحتل الدقائق الباقية من ضوئها . للحيوانات قدرة غريبة على أن تظهر فجأة من بين الاشجار ، والاحراش . قد تكون على بعد بضعة خطوات منك فلا تراها ، ثم فجأة تنظر فإذا بها أمامك .

هكذا كان . ظهر فيل هائل الحجم كأنما انشقت الارض عنه . كان أضخم من جميع الايال التى شاهدتها فى حدائق الحيوان ، وظهر أن ساقه الخلفية اليسرى عرج خفيف . تقدم رافعا خرطوميه الطويل ، وانتصبت أذناه على جانبي رأسه نصحه . كان يتعدى .. وانتحبت الثيران . حاول زعيمها فى مبدأ الامر أن يستمر فى اللامق بعيداً عن الفيل الذى احتل لنفسه أحسن الأماكن . لم يكن هذا صبر اقل فى قيل ، أو كثير ، لكنه رفض إلا أن يتفرد بالارض جميعاً دون شريكه . ترك ما هو فيه وإندفع نحوه . وتفتح الثور مستعداً مكتفياً بأن يعرعى معرفاه .

صهرت أنس وحيد القرن ، ووراؤها صغيرها ، وتقدمت بحذر تتلمس طريقها .. نصت ذو الفيل ، وارتفع خرطوميه عالياً فى الهواء مظهراً نابين هائلين ، وصرخ صرخة مرعبة . إندفع اثرها بسرعة مذهلة نحو القادمين . ستة أطنان أو تزيد من اللحم .

القادمة ولطما نخشيت على وليدها فاستدارت يتوذه ليختفي الإثنين بين الأشجار .
عاد الفيل غورا ، واستأنف لقمه مسرورا . كان الليل قد أقبل ، وأضيت
الأنوار الكاشفة حول المنطقة حتى أن الرؤية لم تتأثر بالظلام .. استمر الموقف
على ما هو .. الفيل يستأثر بكل المنطقة للملحمة على ستمها ، والثيران ترعى بعيدا ،
والخنازير تحوم بين الأحراش ، تظهر ، وتختفي . مضت حوالى نصف الساعة على
هذا الحال حتى بدا أن الفيل اكتفى بما نال ، وترك للسكان عائدا إلى الأشجار .
تلصقت الثيران متجهة إلى المنطقة الملحمة ، وبدأت تلمق . التفت الفيل فجأة ولما
رآها عاد مندليا نحوها متحديا . هربت الثيران مبتعدة عن طريقه ، وعاد الفيل
للاستمتاع بالملح بمرده . دقائق أخرى وظهر فيلان .. كانا أصغر حجما من الأول ..
وهاجهما الفيل ، لكن الإثنين وقفا جنبيا إلى جنب مكونين حائطا هائلا ،
وهاجماه بدورهما .. اضطر إلى التراجع لكن ليس لمدة طويلة . عاود هجموه
ومراجع الفيلان . ثم كأنما باتفاق ، تنحى الفيل عن استنثاره ، واخترق القادمان
في لمتى الاملاح ، وإن إخص الأول بأحسن الأماكن .

استمر الحال على هذا . الأفيال الثلاثة تلمق ماشاءت من الملح حتى ما يزيد
على طاقتها ، والجماموس الوحشى يقف عن بمد يشهد ، ويرقب ، وكأن به حسرة
وغيرة ، والخنازير البرية تختفى في الأدغال حينما ، وتظهر حينما ، لتنظر إلى الموقف
ثم تعود إلى الاختفاء بين الأشجار .

لقى الظلام خلالة قائمة على القنابة ، وأضاءت الأرض الملحمة أنوار الصاييح
الكاشفة .. بدا أن الحال لن يتغير لمدة طويلة إذ استمرت الأفيال في اللق دون
أية إشارة بأنها ستكتفى في القريب .. اقترح رفيقى أن نذهب لتناول العشاء ثم نعود ،
مؤكدنا أن الموقف لن يتغير ، وأقنا لن يفوتنا شيء .

جلسنا إلى القادة تبادل الحديث وابتدرته .

— ان هذا الفيل الأعرج الضخم مثال مجسد للأنانية المطلقة . إنه لا يريد
أن يشاركه أحد من الحيوانات ، حتى من بنى جلده ، في التمتع بالملح بالرغم من وجود
ما يكفى الجميع ، وزيادة ، وبالرغم من أن أحدا لن يزاحمه .

أجابني دون أن يرفع نظره عن طبق الحساء .

— لقد عرفت من البشر من هم أكثر أنانية .

أحسست أن هنالك قصة وراء هذه الإجابة . ثار فضولي إلا أن الرجل استمر في تناول طعامه دون أن يشير إلى الموضوع . تطرق بنا الحديث أثناء الطعام إلى موضوعات شتى ، ثم انتقلنا إلى الشرقة لنحنسى القهوة . لم يكن الموقف قد تغير . فذكرت ماقاله ريفي ونحن على المشاء وأردت أن أثير الموضوع ثانية عساه يروى لي القصة التي وراء جملته . ابتدرته .

— يبدو أن الليل الأهرج ما يزال يتمتع بأنانيته .

نظر إلى ريفي نظرة أحسست أنها تجاوزني إلى أفق بعيد .

— أجل .. لكنه لا يزال وحيدا . إن الفيلين الآخرين يلعبان سويا أما هو فمتفرد .

أجبت بإصرار .

— أجل لكنه يستمتع بما يرغب .

أجابني متسائلا .

— أظن ذلك ؟ ... هل يمكن الإستمتاع بأي شيء دون مشاركة ؟

أصررت للمرة الثانية .

— إنه يبدو كذلك .

هز كتفيه دون اكتراث .

— إننا مازلنا في الساعات الأولى من الليل .

لم نعد إلى اللانقشة ، وأخذنا في مراقبة الحيوانات في صمت . مضت حوالي نصف ساعة بعد ذلك دون أن يتغير الموقف . ظهر ضيغ لم يأبه له حيوان ، وتلصص عند الأطراف دون أن يجرؤ على الإقتراب ثم إخفى بين الأشجار .

نصف ساعة أخرى ، وظهر عند أطراف الغابة فيل هائل الحجم ، وتقدم نحو
الأرض المالحية . توقف على بعد يسير من الأفيال الثلاثة كأنما يزن الأمر ، وتوقفت
الأفيال عن اللقق منتظرة . رفع القادم خرطومـه الطويل إلى أعلى وثناه إلى
الخلف . وفجأة ظهر من بين أشجار الغابة القائمة قطيع من الأفيال ، عشرة
أو تزيد ، بين ذكر ، وأنثى ، وصغير .

انتظر القادم حتى لحقت به الجماعة ثم تقدمها نحو الأفيال الثلاثة . لم ينظر إلى
الفيلين ، واتجه رأساً إلى الفيل الأخرج رافعاً خرطومـه ، وصارخا صرخة دوت
في السكون ، لم يتردد الفيل الوحيد إذ لم يكن له قبل بقتال القطيع برمته . أولانا
ظهره واندفع هارباً نحو الغابة وهو يتحامل على ساقه المرجاء .

من ناحية أخرى لم يتحرك الفيلان ، ولم يبد على القادمين أى تضرر من
مشاركتهم لهم ، ولم يلبث الجميع أن مضوا يلمقون وكأنهما كان الفيلان من
ضمن القطيع . دقائق أخرى وظهر الفيل الأخرج . لم يأت متحدياً ، وإنما مسالماً .
ولم يقبله القطيع . ما أن ظهر حتى إستدار له الزعيم ، واندفع نحوه مهاجماً .
إنسحب الفيل الأخرج إلى الغابة ولم نره بعد ذلك بينما إستمرت الأفيال جميعاً تلاحق
في سلام .

التفت إلى صاحبي وسألني .

— هل مارلت عند رأيك في أنه يستمتع بما يفعل ؟ .

لم أكن محتاجاً إلى تفسير لأعلم أنه يشير إلى الفيل الأخرج ، فانتهزت الفرصة ، وأجبت .

— ربما ليس الآن ، ولكن لا شك أنه أخذ كفايته في مبدأ الأمر ،
واستمع ما شاء قبل أن يمد القطيع .

لاحت على وجهه سحابة حزن عميق وقال بصوت خفيض .

— ألم تلاحظ أنه جاء قبل أن يأتى أى فيل آخر ، حتى قبل أن يحل الطلام تماماً ،

وهو موعد لا تأتى فيه الأفيال ؟ لقد أتى مع الخنازير ، والثيران ، ولم يأت
مع بقى جنسه أن يجتمعه قد لفظه .

قلت مجادلاً .

— لكن القطيع لم يكن موجودا حينما استأثر الفيل بالأرض الملحية، ولاحق حينما حاول طرد الفيلين، ولا شك أن هجوم الفيل القادم عليه لأنه رأى أنه يماثله حجما، وربما لم يرد أن يشارك القطيع ليفسح مجالا لغيره أو خشية أن يحاول الإستئثار بالزراعة دونه .

هز رأسه نكيا .

— كلا وإلا لطرد الفيلين أيضا . إن للجماعة صمرا ، وشعورا يافظ الفرد للتفرد ، أعنى الإنسانى .

لم يرد على هذا ، وعاد إلى الصمت . كنت ما زلت أحذر محاولا استثارته ليروى القصة ، فلم أدعه وصمته ، واتجهت وجهه أخرى .

— ترى كيف أصيب الفيل فى ساقه ؟ هل لهذا علاقة بتفرده الآن ؟

— من يدري ؟ ربما كان تفرده هو سبب إصابته ثم كانت إصابته سببا فى ازدياد تفرده .

— ماذا تعنى ؟

— أحيانا تكفى حادثة واحدة يظهر الفرد فيها أنانيته حتى يافظه المجتمع فإذا ما أحس بذلك ازداد أنانية ، وازداد اعتمادا على نفسه ، وازدادوا نفورا منه . حلقة مفرغة لا تنتهى .

— إذا أنت تعتقد أنه كان سابقا فردا فى قطيع ثم أراد أن يستأثر بشيء ما فلها حموه وجرح فى القتال وابتدأ تفرده .

أجابتى بحدة لاداعى لها .

— أما لم أقل إنى أعتقد هذا ، كل ما ذكرته هو أنه ربما تكفى حادثة واحدة ليترتب عليها التفرد . لكن هذا مجرد فرض ، وليك آخر ، لعله كان على حق حينما أراد الإستئثار بشيء ، ولعل القطيع كان على خطأ . وفرض ثالث ، لعله هو الذى كان ضحية . لعل غيره كان أقوى منه استأثر بما للاحق له به ، وتصدى له الفيل ،

وخرج من المركبة مهزوماً فطرد من مجتمعه ، أو لعله أخطأ عن حسن نية . هنالك
لروض لا حصر لها لا تستطيع أن ترجع أحدها على الآخر .

كما احتد فجأة ، هذا دمة واحدة ، وقام من جلسته وهو يقول في هدوء .

— أسعدت مساء .

دون أن ينتظر رداً استدار وسار إلى حجرتة . لاح أنه ازداد همراً ،
ولاحت عليه امارات اعياء ويأس . أخذت أرقبه من مجلسي لحظات حق اختفى
وهو يمرج في ظلام الردهة الطويلة . فرد متفرد ذهب لينداوحي على نفسه
في ظلام حجرتة .



القهى

سيدنى . كنت دائما أجبن من أن أجابهك ، وأنا الآن أجبن من أن أرسلك ،
سأسطر الحوادث ربما قبلت إحدى الصحف ، أو المجلات أن تنشرها كقصة ،
وربما تقرأينها .. وعندئذ ستعلمين .. وعندئذ ستفهمين .. لكن لا بد لكى
أضع الصورة في إطارها الكامل أن أعود إلى الوراء . إلى أربعين سنة خلت .
ولدت في قرية نسكرة مهمة ، مثل مئات القرى المتناثرة في الريف . كنت
منذ ولادتي دميا قبيح الوجه حتى أن النفس لشعث من النظر إلى .. أصبت بالجدرى
فتآكلت وجهتى وأزدت دمامة .. كان الأطفال يهربون منى ، ويرفضون
أن ألهو معهم .. حتى والدى كثيرا ما أشاح عني بوجهة ، كان يلعب اخوتى
وحيتا أقرب منه يقوم من مجلسه ، ويترك الدار .. لم أعرف عطفًا أو حبا ،
وحنانا .. إلا من والدى .

حملت والدى حتى أرسلنى والدى مسكرا إلى إحدى المدارس الأولية . هناك

لاقيت من سفرية زملائي ، وتباعدهم ما حمانى أفر منها ، لكن مدرسى كان شيخا
رحيما . جاء إلى دارنا وحدثنى مرقه ، وأعاننى إلى المدرسة . بدل جهده أن يبعد أذى
سائر الاطفال عني ، ولم يفلح كثيرا ، إلا أنه فليح أن يحثنى على الدراسة .

لست أريد أن أحدثك عن مدى الوحده التى كنت أعانيها ، ولا عن
شعورى وأنا أرى الناس تنقرز منى ، وتشيح بأبصارها عن وجهى . هذه أشياء
اعتدت عليها تدريجيا ، ولم يبق إلا القراءة .. عشت حياتى مع الكتب ، ومنها أخذت
كل ما افتقده من البشر . فالؤلأ ، سواء أكان عالما ، أو أديبا ،
لا يخاطب الوجوه ، بل يخاطب العقل ، والوجدان ، والاحاسيس .

أراد والدى أن يمنعنى بعد الدراسة الأولية ، لأعمل فى الحقل ، إلا أن مدرسى ،
الشيخ الرحيم ، أقنعه بإرسالى إلى المدارس الابتدائية ، أعطاه نقودا تساعد
على احتياجاتى ، وكثيرا ما كان يرسل إلى ما يستغنى عنه أنجاله من ملابس . تفوقت
فى دراستى الابتدائية ، وحظيت بالهجاية ، وكذلك فى الثانوية ، وحس وقت الجامعة ..
قبالت فى كلية الطب محانا .. قامت مشكلة النقود كان يلزم أن أعيش فى القاهرة ،
بعبدا عن أهلى ، ويأمرنى الكتب ، والملابس ، ووجرها من مقتنيات الحياة .

إن أبى فلاح بسيط لا يتحمل هذه التكاليف ، و حتى حرره منها ، وتدخلت والدتى ،
وتصدت لحل المشكلة . كانت قد ورثت بضعة قراريط من الأرض ، وحاموسة عن والدها ..
عصت روحها ، وهى التى لم تخلفه أبدا . وباعت الأرض ، ثم باعت الحاموسة ،
وأرسلتنى إلى القاهرة . بحثت عن سكن حتى عثرت على سيدة تاجر ممزلة للتداعى
حجرات للطباعة . حينما رأتنى ترددت ، ثم قبالت أن تؤجر لى عرفة فى قبو تحت الدرج ،
لا منمذ لها .. كان لديها حجرة فوق سطح المنزل ، لكنها أبت على الشمس ،
والهواء ، والطيور ، وأسكتتنى مع الظلام ، والرطوبة ، والجردان .

حاولت أن ألحق نأى عمل كخادم ، أو ماشاه لاساعد أمى ، وأبى ، وأخفف
عنهما الحمل إلا أن أحدا لم يقبلنى .. كانوا ينفرون بمجرد النظر إلى وجهى ..
مر العام الأول فى الكاية بشقائه وبؤسه وبحجته بنموق .. كانوا فى ذلك الوقت
يمنعون المتفوقين مكافأة شهرية . عشرة جنيهات . وكانت هذه ثروة ضخمة

بالنسبة لى . كنت اقتطع منها نصفها ، أرسلها إلى عائلى ، وأكتمى بالباقي أطعماى ، وكتمى ، ومصرفاتى .. كثيرا ما اضطررت أن أيت على الطوى حتى أوفر ثمن كتاب حراسى .

مضت السنة الثانية ، والثالثة ، والرابعة على هذا الحال . انى أذكر انى لم آكل يوما أكثر من وجبة واحدة ، ولم أبدل ملابسى إلا بعد أن تسكد أن تبلى تماما .. لم أنم على غير حشية واحدة ملقاة على أرض الحجرة ، ولم أتدفأ بأكثر من بطانية خرقه لا تسكد تمنح دفئا . كانت الحشية ، ومنضدة متداعية ، ومقعد مهشم ، وكسرة من مرآة هى كل أثاث حجرتى ، كما كانت قلة الماء ، ومصباح جاز ، وموقد جاز ، وحلة ، وكوب ، وملقعة ، هى كل أدواتى . أما مؤننى فلم تكن تزيد على كمية من الخبز ترسله لى والدنى بين الحين والآخر ، وثلاثة كيزان بأحدها بعض اشأى ، وبالأخر بعض السكر ، والأخير الملح .

ثم بانف السنة الثمانية . فيها رأيته . كانت أول سنة لك . اعتقد أنه سقط القول أن أخبرك انى لم أفسد فى حياتى فى فتاة . كان الرجال يشتمون من النظر لى وجهى فما بالك بالعتيات . لم يحل قلبى من الإحاسيس ، والمشاعر ، إلا انى كنت أستبعداها بمجرد أن تبدأ فى مداعبتى .

كثيرا ما كنت أختس منك النظر دون أن يشعر أحد ، أو هكذا ظننت . كانت هناك عيون أخرى ناحط ، وترقب ، وتسخر .. لسكنتنى كفت سادرا فى أحلامى .. أنت ترين حتى القميثون يحملون .. جاء اليوم الذى رأيته فيه تبسمين لى .. لو أن قوة جاذبية الأرض جعما تجمعت ما كان يمكن أن تثبت أقدامى أكثر مما فعلت هذه الإبتسامة .. سمعت فى الأرض وكأنى نبت عمقت فيها جذوره .. لم أصدق ما رأت عيناى .. وإنى لا أذكر انى نسكت وجهى إلى أسفل .. خشية أن تنظر لى إليه ، وتشمئز لى .

لمت أدرى كيف وصلت إلى حجرتى المظلمة .. آسف إلى جنتى للنيرة .. لقد أحالت ابتسامتك الظلام ضياء .. والبرد دفئا .. حتى أحلامى تغيرت من مجرد إحاسيس ، وتغنيات إلى آمال ، وأمانى .. شطحات أوهام .. قد تصورين

أنتى أبالع فى وصف شعورى ، لكن تذكرى أنه لم توجه إلى فى حيان سوى
نظرات الإشتزاز والتقرير بل ، والملمع .. لم أر على فم سوى شفقة أو خوف ،
أو .. مخبرية .

أحببنى لم أصدق تماما أن هذه الإبتسامة كانت موجهة إلى .. ومع هذا فقد
خادعت عقلى دونها .. عشت يومى وليالى فى الخداع .. تسكرت إبتسامتك
مشجعة ، ومع هذا فقد استمر عقلى بنسكر .. لم أجرو أن أوجه إليك كلمة ..
أو أرد الإبتسامة ..

من القروش الفلالى التى كنت أصرفها على ما كلى بدأت أدخر .. كم ليلتها
على الطوى .. ومع هذا فلم أشعر .. كنت سميدا أحلق فى عالم الخيال .
خلال السبعين نجح لدى ثلاثون قرشا فذهبت بها إلى سوق الملابس القديمة ..
واشتريت قميصا ، كما أصلحت حذاءى ونظفته ..

أخيرا جاء اليوم الذى رأيتك فيه لسيرين نحوى .. كدت أجرى بيدي
لكننى لم أستطع أن أمزق قدامى .. سمعت أنفاما تخرج من فمك تواعدنى فى اليوم
التالى فى حديقة الحيوان .. مثلما لم تصدق عيناى ، كذبت أذناى . ما كان يمكن
أن يكون هذا صحيحا .. ومع هذا فقد رأت عيناى .. وسمعت أذناى .

راعنى خاطر .. بحثت فى جيوبى ولم أجدم سوى ثلاث قروش ..
على كل مابقى لى من نقود نقوت بها خمسة أيام إلى بداية الشهر التالى .. هربت
إلى غرفتى وأخذت منها قميصا قديما ، وصندلا ، وعجلت إلى سوق الملابس القديمة ..
لم يرض التاجر أن يشتريها فى أول الأمر .. وحينما ألحمت عليه .. أعطانى
خمسة عشر قرشا .. عدت إلى حجرتى أرفع الحشية لأذهب بها إلى تاجر أثاث قديم ..
بتمها له بخمسة عشر قرشا .. ماضرنى لو افترشت الأرض .. إن الصيف
على الأبواب .

رأيتك تنتظرين عند الجبلالية حسبما وعدت ، وهرعت نحوك ، ملاحقا قلبى ..
هنا ظهر زملأوك بين الأشجار التى انحرفوا وراءها .. شباب مرح رأى فرصة
فريدة للسخرية .. تعالت ضحكاهم قطن فى رأسى .. وسمعت سخرياتهم اللاذعة ..
ولعلك تذكرين ماوصلونى به ..

توقفت فى إندفاعى ولم أشعر بأننى حى بنبض له قلب .. ربما كان قد سبقنى
إليك .. ثبت نظرى لا يتحرك عن وجهك .. رأيتك وقد علاك العبوس ..

كنت كن افاق من حلم مرعب ليرى أن الدمية التي يلهو بها ليست دمية ..
إنما هو بشر حى .. له أحاسيس ومشاعر وكأى بشر .

لكن لا تبشئى .. فلو علمت مقدار السمادة التي منحتمنا لى ابتساماتك لأطمان
قلبك الخنون .. إن البؤس صنوى .. ومعلمت صمادة حقة إلا في ذلك السراب
الذى وهبته لى .. سراب حقا .. لكننى عشت فيه .. أرجوك لا تبشئى ..
اتى لأرضى عما حدث تبديلا .. ما ضررنى أن أكون ملهاة ليمض الشباب ..
لقد قضيت حياتى جماء أملوحة سخيغه مقبته .
إعترفت تماما بعد هذا .. ونلت أجارة اليكالوريوس .. وعيت نائبا ..
منذ ذلك الوقت .. تقاديت أن ترىنى حتى لا أولئك بذكرى ربما كانت سيئة
بالنسبة لك .. ولا أكن لها إلا كل حب .

بدأ التفير لى حياتى أيضا منذئذ .. صممت أن أكون جراح تجميل .. كان تفوق
مدعاة لأن يرسلونى إلى الخارج فى بعثة .. هناك .. علم أستاذى بما أعانيه ..
فأجرى لى هذه جراحات للتجميل .. انضمت الشفة العليا التى كانت مفلوحة
من الوسط .. واعتدل الأنف المقوف الملتوى .. واختفت كل الندوب التى تركها
الجدرى فى وجتى .. حتى عيناى وأذناى أجريت فى فيها جراحة .. لم أبغ
أن أكون وسيا .. إنما أردت ألا يشتمز منى البشر .

عدت إلى القاهرة .. ومرت سنوات من العمل الشاق .. لم تكن للمادة
أساس عمل إنما أن أرفع بعض البؤس عن الناس حتى لا يمانوا ما عانيت .. ومع
هذا فقد أثنى المال بوفرة .. لم أفكر فى النساء .. إذ اعتدت أن أحيى منفردا ..
فى رحاب السمادة التى منحتمنا لى .. والى كانت سرايا ..

جاء يوم إستدعيت فيه لأجرى جراحة تجميل لسيدة انقلبت بها السيارة ..
قتل زوجها فى الحادث ، واشتعلت السيارة نارا شوهتها .. عرفتك رعا عما
أصابك .. ولم ترفيق .. رأيتك مكتئبة باكية ، وقد إنهار صرح حياتك .. أو هذا
ما كنت تظنين ..

كادت نفسى أن تطير شعاعا حينما رأيتك تمنىك بعض ما عانيت .. لا ..
لا تخافى .. ستعودين سيرتك الأولى .. لا .. لا تبشئى .. نى أجبن من أن
أراجبك .. وأجبن من أن أراسلك .. لكن .. رباه .. آه لو تقرأين .



حذر الموت

سار الشرطى العجور متعاملا . كانت ليلة لم تشهد لها الاسكندرية مثيلا .
ليلة قارصة البرد ، هوجاء الرياح عاصفة الامطار . ضم أطراف معطفه الثقيل حول
جسده فى محاولة للدفء ، ونقل خطواته المتثاقلة ، يقاوم الرياح . أخذ يتقل من
حانوت إلى آخر يتحسس الأقفال ، والابواب ليتأكد من أن أصحابها لم ينسوها
مفتوحة ، أو أن يدا غريبة لم تبحث بها . كان يتمتم بين وقت وآخر ساخطا

- يالها من ليلة !!

فى مثل هذه الليلة كان يتفق لو أنه يستمع إلى رؤسائه ، ويستقر فى وظيفة
كتابية فى القسم ، لكنه كان يحب منطقته ويحب أهاليها ، عرفهم ، وعرفوه طوال
السنوات الثلاثين . أو يريد التى قضاها فى الخدمة . كان دائما يرحو رؤسائه أن

ينكوه في « دوريته » ولم يتخرج مطلقاً أن يأخذ وردية الليل . علي أنه لا يذكر أنه شاهد ليلة عاصفة مثل هذه .

مضى في الطرقات ينتقل من منزل لى آخر ، ومن حايوت إلى حايوت . إنه سمع من زملائه في القسم أن هناك عصابة من الاصوص ترتكب جرائمها في المنطقة مخورة ، وهو لا يريد أن تهاجم سكان منطقته . منذ ثلاثة أيام فقط قتلوا رجلاً وروحته ، وجردوها من كل ما يمتلئكان . وقف عند مفترق طرق ينظر إلى الشوارع الخالية من المارة مع أن الليل كان ما يكاد يبدأ . إن العاصفة أجبرت الناس على أن يستقروا في بيوتهم ، وأن ينتلقوا نوافذهم . لم ير ما يربب فواصل سيره الوئيد يكمل « دوريته »

حملته ساقاه الواهنتان إلى إحدى الطرق الجانبية ، وتوقف عند منزل صغير من طابقين . كان يعرف صاحبة المنزل كما يعرف جميع سكان الحي . هي أرملة جاورت السبعين ، مات زوجها وهي دون الأربعين ، وهجرها ابنها الوحيد بعد وفاة أبيه بسنة أو اثنتين ولم يعد . كانت سيدة طيبة طالما دعتة إلى تناول كوب شاي ، وكثيراً ما أعطته بعض للأكولات . فـ فكر أن كوب الشاي الآن قد يعيد بعد الدفء إلى جسده البارد المكدود .

رأى ضوءاً في الدور الأرضي فحمد الله . بن السيدة لم تصعد بعد إلى الطابق الثاني لتنام ، وما زال الليل في صدره ، فليس ثمة ما يجمع من تناول كوب الشاي . إذا كان قد ساوره بعض التردد فإن اشتداد الرياح ، والأمطار دفعه إلى أن يقر رأيه . فتح باب السور الخارجي الصغير ، وسار الخطوات القليلة إلى درج المنزل . ثلاث درجات إرتقاها ، ووضع يده على الجرس . لم يقف طويلاً حتى سطع نور أضواء المكان ، ولا بد أن السيدة نظرت من العين النهرية ، ورأته ، إذ فتحت الباب ودعته إلى الدخول .

أعلق الباب وراءه بسرعة لمنع دخول الرياح والأمطار ، ووقف في الردهة

الداخلية بينهم للسيدة المعجور . كانت ضئيلة الجسم ، بيضاء الشعر ، سمحة الظهر ، ما زال في وجهها مسحة من جمال رسم عليه الدهر خطوط الهرم . قالت بصوت لطيف مرحة

— تفضل يا حضرة الشاويش ، سأصنع لك كوبا من الشاي

عاشت معظم حياتها وحيدة ، وليلة مثل هذه تزيد المرء شعورا بالوحدة ، ولهذا سرها أن يأتي للترطى ، لتعادته ، ولولدها نقي نزيل فيها وحدتها . تركته وسارت إلى جانب من المنزل حيث للطبخ تعد الشاي . خلع معطفه البتل ، وعلقه على مشعب إلى جوار الباب ، ثم جلس على أحد المقاعد في الردهة . كان الجو دافئا في المنزل ، ولا بد أن السيدة قد أشعلت اللدقة الكهربية منذ مدة طويلة .

عادت السيدة بسكوبين ناولته أحدها ، ثم جلست في مقعد . شعر بالخروج من فرض نفسه فقال مبررا بحديثه ، وهو يرتشف من السكوب .

— الواقع أنني أثبت لاخبرك ألا تفتحى الباب لأحد . إن هذه الليلة مرتع اللصوص والقتلة .

قالت السيدة مؤمنة .

— إنها ليلة مرعبة لم أشهد لها مثيلا على ما أذكر .

قال وهو يأخذ رشفة كبيرة بصوت عال يؤكد أهميته .

— إن هناك عصابة اتخذت المنطقة المجاورة مسرحا لجرائمها ، ومنذ ثلاثة أيام فقط قتلوا رجلا وزوجته ، ونهبوا منزلهما ، لهذا رأيت أن أحذرك من فتح الباب .

— شكراً .. إننى لا أفتحه إلا بعد أن أناكد من مرفق للطارق .

— ويستحسن أيضا أن تدعى النور الخارجى مضيئا طول الليل . إنه لن يسكف شيئا ، وهو عموما يبعد اللصوص .

شكرته مرة ثانية ، ووعدته أن تفعل ذلك . أم إحشاء الشاي فسألته إن كان

يريد مزيدا ، ورفض ، مفررا أن عليه يتم وورديته . إرتدى معطفه الثقيل ثم قال :

— إغلقى الباب ورائى بالزلاج ، وتأكدى من غلق جميع النوافذ ،
والابواب خاصة فى الدور الارضى واتركى النور الخارجى مضاء ، وعلى
أى الاحوال فإنى أيضا سأمر قبل إنتهاء نوبتى . أسعدت مساء :

خرج ، واوصدت الباب ورائه بسرعة وقبل أن ينزل الدرج سمع صوت
للزلاج ، رأى أن الماصفة تزداد شدة ، وتحولت الأمطار إلى برد فتمتم بيضة
كلمات لنفسه ثم استأنف السير .

نفذت السيدة وصية الشرطى تماما . دارت فى أنحاء الطابق الارضى : وتأكدت
من أن جميع النوافذ ، والابواب محكمة الإغلاق . وتركزت النور على الباب
الخارجى مضاء ، وتناولت عشاءها ، ثم أطفأت الأنوار الداخلية ، وصعدت الدرج
إلى الطابق الثانى لتنام . كانت الماصفة ما تزال تهدر ، ترددت أصوات الرعد تهز
المنزل ، بينما التمع ضوء البرق بين الحين والآخر .

دخلت حجرة النوم واصطكت أسنانها من البرد . أسرعت توفد المدثة
الكهربائية ، وتناقى الباب ، ثم دلفت إلى فراشها تلف جسدها الواهن بالاعطية .
مع هذا فإن البرد كان من الشدة بحيث مضت مدة طويلة قبل أن ينشأها النوم .
استيقظت على أصوات الماصفة ، أو لهاها أصوات أخرى أيقظتها . شعرت بوجهها
خارج النطاء . يكاد أن يتجمد من شدة البرد فالتفت إلى المدثة ورائها أنها غير
مشتتة . مدت يدها توفد النور الكهربائى إلى جوار فراشها لكنه لم يضىء .
إذا فقد انقطع التيار الكهربائى . خيل إليها تسمع طرقات على الباب الخارجى ،
وكأنما صوت شخص ينادى . لكن أصوات الرعد ، والرياح ممتها من التأكد .
ترددت أن تترك فراشها لتحقيق مما حيل إليها ، ثم تذكرت كلمات الشرطى عن عصابة
القتلة ، واللصوص ، تجوس للمنطقة ، وتملكها الرعب . أخفت وجهها تحت النطاء
فى محاولة للدفء ، وصمت أذنها عن الأصوات الخارجة لتنام . جاثاها النوم ،
ولم تنقطع الأصوات .

ركبت فراشها مسكرها ، وسرت في بدنها رعدة شديدة . إرتدت ممطفا ثقيلًا ، وانجهت إلى النافذة . أصاء البرق ، وهدر الرعد عدة مرات قبل أن تسكن الخطوات القلائل ، هالما أن ترى على ضوء البرق أن الأرض قد اكتست بطبقة بيضاء من الناج . رأت شيئًا آخر أثار الرعب في قلبها . رأت شبحًا طويلًا يمالج أحد النوافذ في الطابق الأرضي . قبل أن تأكد ، ذهب ضوء البرق . لم تكن تستطيع أن تفتح النافذة لتعبر الرؤية ، وحتى لو استطاعت فإن الخوف قد حصد مفاصها ، ومنعها عن الحركة .

حاولت من ثيابها الأخشاب أن تنظر . والتع البرق ، ورأت . وتأكدت . لم تستطع ساقها أن تستمر على سحما فأسـرعت إلى المرائس . وتهاوت عليه . كانت الحجرة باردة مظلمة لا يضيئها إلا قبس من ضوء البرق ، يتسلل بين اللبنة والأخرى خلال أخشاب النافذة . لبثت دقائق في مكانها تفكر أين كانت وأجدت أن دقها المشتت لا يستطيع التركيز . لم تكن هالك فائدة من صراخها ، حتى لو فتحت النافذة فإن صوتها سوف يضيع في أصوات العاصفة ، كما أن الجيران قد ناموا ، ولا شك أن جميع نوافذ منازلهم مغلقة .

البيد -

دعت إلى ربها مبتلة أن يأتي النمرطي في مروره كما وعد ، وإن كانت تشك في أنه قد قُبِع في مكان ما يحتمى من العاصفة . لم تستطع أن تسمع نفسها من أن نذهب تحتنا لنظر بين أخشاب النافذة . تحاءت على نفسها ، ونظرت . لالم يعتمد الص كان ميرال يمالج النافذة وبدأ أنه قد قد سيطرته على أعصابه إذ كان يحاول فتحها عنوة . . لم تكن تهتم كثيرا بهذا ، حتى إذا فتحها فإن وراءها قضباناً حديدية . وحمدت الله أن استجبت إلى نصيحة إحدى حاراتها وثبتت القضبان .

أرادت أن تعرف الوقت ، وحشيت أن تشعل مصباحاً أو شمعة ، فيرى اللص الضوء ويبلغ بوجودها في المنزل . ربما هو يظن أن ليس به أحد . ألا يمكن أن يسكور شخصاً عادياً يطالب بأوى أو زادا ؟

طمأنها هذا الحاطر نساً ، لكنها عادت وتذكرت أفوار الشرطي ، ثم تذكرت محاولات الرجل المستمرة في إقحام الدافدة ، وتبعته الرنى . ومع هذا عاد الفكيكي ياج عليها . ربما كان قلبها الطيب قد لان سائر المقتحم ، وودت لو كان معها شخص تتمد عليه إذا لمحت الباب وسأت القريب إن كان يريد الماء والى والطعام . كانت ترتعد من البرد ، والخوف ومع هذا تحاملت على نفسها وعبرت الحجرة على أطراف أقدامها ، وكأنها سوف يسمع المقتحم وقع أقدامها وسط العاصفة .

نزلت الدرج ، وراها أن رأت الدافدة مفتوحة . أصاء البرق وصرحت حينما شاهدت شبعها هائل الحجم ، أو هكذا خيل إليها ، يمسك القضبان الحديدية بيديه في محاولة مجنونة كأنما يبنى إنتراعها .

راودها خاطر جدوى أن سوف يفلح في محاولاته ، أنه سوف يقنأها لا محالة . عليها أن تفر منه وأن تحصن نفسها . عذت أذراعها سرعة إلى حجرتها ، وأعلقت الباب ، ثم إرتمت على فراشها ترتعد ، وتنتحب . كانت تشر برأسها يلتهب من الحى ، ومع هذا فإن أطرافها كانت في برودة الثلج . لم تفلح الأعطية في تدفئتها كما لم يفلح فراشها في إدخال ولو بعض الطمأنينة عليها . لم تدر ما حدث بعد ذلك . لعلها قد أغمى عليها ، أو ربما تكون قد نامت عياء ، أيا كان حينما فتحت عينيها ، كانت العاصفة قد هدأت ، وزغ ضوء النهار .

بقيت لحظات في فراشها قبل أن تستكمل بتيهاها . عودتها ذكرى الليلة الماضية دفعة واحدة ، وحاولت الهوض فلم تستطع . جاءت أصوات طرقات متتالية على الباب الخارجى ، ولم تستمعها فواها على الحركة . فتحت فيها في محاولة للبصر إلا أن حنجرتها الضعيفة لم تحرج سوى أصواتا مكتومة ضاعت مع الطرق المستمر . كانت الحجرة داثة إذ لاحظت أن للدواة الكهربية عادت إلى العمل ومع هذا فإن فكها ظلاً يعطقة ، وحدها الضعيف يرتد .

أبقت أن الحى قد أصابها ولاشك من حراء تعرضها للبرد في الليلة الماضية ،

وما لاقته من رعب وإرهاق . لم تكن عظامها العجوز لتحمل . جاءها أصوات
معاول تنهال على الباب ، ولا بد أنهم كانوا يحطونه ، لكن الأصوات كانت تأتي
من بعيد ، وكأنما هي تصدر من مكان آخر ، ولا يصلها منه إلا صدى يسير .
مضت دقائق ، ووقفت للمعاول . بعد لحظات فتح باب حجرتها ثم سمعت أصواتا
بشرية ، ورأت أشباحا تتحرك ، وتقف عند الفراش . لم تكن عيناها للضعيفتان
تميزان الأشخاص ، ولا كان عقلها المموم يستطيع أن يستوعب الموقف . أحست
بضيق شديد يسرى في أنحاء جسدها النحيل ، لكنه ضعف تصحبه راحة غريبة ،
ثم لم تعد تدري شيئا مما يجري حولها .

في الردهة جلس الشرطي ، وشخص آخر يتبادلان الحديث . تكلم الرجل

— إن السيدة مريضة جدا . لقد أصيبت بالتهاب رئوي لا أعتمد أنها سوف
تنجو منه . على فكرة هل عرفتم شخصية الرجل الذي كان متعلقا بقضبان النافذة ؟
لقد كشفت على جثته ، ولا شك أنه مات متأثرا بصقيع الليلة الماضية ، كان قلبه
ضعيفا ، ولم يتحمل . غريب أن يكون اللص ضعيف القلب ؟ !

جاء صوت الشرطي متهدجا من الإنفعال وهو يجيب

— كلا ياسيدى الطبيب . لم يكن لصا . لقد كان ابن السيدة الذي هجرها
منذ ثلاثين سنة تزيد ، ولم يعد إلا الليلة الماضية .



عملية تبادل

وقفت أمام المرأة تتأمل نفسها . طالعتها القوام المتناسق ، والوجه الجميل . دارت حول نفسها تتطلع إلى كل جزء من ريفتها وملابسها . واطمأنت أنه لا يوجد ما يبيها . كانت سعيدة بجمالها ، سعيدة بحياتها . نظرت إلى الساعة الثمينة في موعدها . لم يبق على موعده أكثر من دقائق ، ومع هذا فلم تتعجل . لا يضير الرجال أن ينتظروا قليلا كلما طال انتظارهم إزداد شوقهم . نادى على خادمتهما .

— سميرة !

بعد لحظات دخلت فتاة في أوائل العقد الثالث . نظرت إليها المرأة ودارت الأفكار سريعة في رأسها . إن الفتاة لا بأس بجمالها ، وهي تضارعتي جسدا . لا بد أنها تستعمل أدوات ريفتي ، ولا عجب أن كانت تستعير ملابسها كلها أمسكتها .

لابأس أن هذا يجعلها دائماً في كنفى ولن تشي لسيدها عن حركاتي ، أما مالا
أود أن تستعيره فهو في مكان أمين . من حسن الحظ أن ليس معها مفتاح للباب ،
وإلا كانت تخرج بالملابس . إنها فتاة ، ولكل القيات شبان ، ترى من هو فتاها ؟
هل يأتي لي المنزل أثناء عياني ؟ ألقاها هذا الحاطر فقطبت عن حاجبيها ،
وحادت لمجتما أشد مما كانت تنوي .

— سميره اني سأخرج ، وغالباً سوف أعود قبل سيديك لكن إذا حدث
وتأخرت فأخبريه إنى عند الحائكة .

نظرت إلى ساعتها . لقد تأخرت أكثر مما كانت ينبغي ، وخشيت أن تكون
قد بالغت ، كلاً به ينتظرها في منزله كالعادة .

لم تسكد المرأة تخرج حتى هرعت الفتاة إلى حجرة النوم الرئيسية . بمفتاح
مصطع فتحت الدولاب ، واثقت منه ملابس ومطعماً من انفراد : أخرجت الأشياء
ثم جلست للزينة ، في أقل من نصف ساعة خرجت من الشقة امرأة أخرى لو أنك
رأيتها ما عرفت فيها الخادمة .

عادت المرأة متأخرة لتجد أن زوجها ينتظرها قائماً . سألتها أين كانت فأخبرته
أنها ذهبت إلى الحائكة ، كذبها قائلاً إنه اتصل بها هناك ولم تكن موجودة
ردت عليه بأنها استبدلتها بأخرى استعجبتا إليها إحدى صديقاتها ، وانفجرت مراراً
غضبه أخبرها بأن الفتاة الخادمة أشرف منها ، وأنها لا تستحق أن تكون زوجة لرجل
محترم . أعلنتها أنها لن تخرج بعد ذلك إلا بإذنه ، وإن علم أنها فعلت غير ذلك
فسوف يكون هذا نهاية عهدا بالزوجية .

قضت ليلتها مسهدة تفكر . لم يكن يعينها غضب زوجها فإنه كثيراً
ما فعل ذلك ، ثم ينسى غضبه في غمرة انهما في عمله . سوف تمر هذه الثورة
كما مرت غيرها ، سحابة صيف . لكن الجديد في كلامه هو إشارته إلى سميره ،
الشمالة ، هذه هي المرة الأولى التي يقارن بينهما . ترى هل هنالك سبب ؟

أفضها التفكير ، إنها سميدة كما هي لاتبني طلاقا ، فزوجها رجل أعمال فاجح لم يبخل عليها بشيء . حق الأولاد ؟ حينما أظهرت نورها من الإنجاب لم يضبط عليها ، وترك للزمن أن يعدل رأيها . لم تسكن تحب أن تنجب ، على الأقل لبس الآن . لم تود أن تفتح بطنها ، ويفسد جسدها الجليل . لم ترد طفلا رضعة ، وترتبط به ، وتأخذ من أوقات لهوها ، ومجونها . لكن مقارنته إياها اليوم بالفتاة أنفقتها . هل آن الاوان أن تنجب ، ولضحى بالكثير من وقتها ؟

استبعدت التفكير في الأطفال إنها سميدة كما هي ، ومارالت شابة صغيرة أعمها الكثير . لن تضحى بسعادتها بمثل هذه السهولة . كل ما هنالك ، عليها أن تتخلص من الفتاة ؟ ترى هل تأمل أن تحمل معها ؟ كادت أن تضحك من الفكرة ، ثم حاودت رأيها ، ولم لا ؟ إن الفتيات هن افكار غريبة . . استعادت اوقاتا كثيرة تركت زوجها بمفرده مع الخادمة . ترى هل نشأت بينهما علاقة ؟ راح عقلها يصور لها اشياء لاوجود لها . لفته ، أو نظرة ، أو كلمة طيبة حورتها إلى تأويل يسائر طبيعتها .

استقر رأيها على التخلص من الفتاة . إن معنى هذا أنها ستقوم بأعباء المنزل بمفردها ، لكن هذه تضحية بسيطة ، يقالها أنها سوف تكون أكثر حرية ، وأكثر انطلاقا . إنها لا ترغب أن تطلع الفتاة على حركاتها وسكناتها على أى الأحوال . سوف تفتعل غضبه وتطردها . هل سيقبل زوجها هذا ، أم أنه سيثير تحديا سافرا ؟

حاودتها الذاكرة . لقد حدث قبل ذلك أن ثارت على الفتاة ، وهذا زوجها من ثورتها . قال إن الفتاة عاملة مجدة ، وهى أمينة ، ونظيفة ، وليس من اليسير في هذه الايام أن يثر على مثلها . تسكّم مع الفتاة للتعصب ، واسترضاها ، وعادت الامور إلى مجراها .

لقد مضت هذه الواقعة ولم تولها التفاتا ، ولم تحملها أى مفزى حق الآن كم هي ساذجة بسيطة ؟ إن الامر لم يكن لمصاحتها إذا ، وإنما كان يريد الإبقاء على الفتاة لأغراضه الشخصية ؟

نرى منذ متى بدأت هذه العلاقة ؟ هنا في بيتنا وتحت سمعها وبصرها ؟
يا لواقحة الرجل وغور الفتاة ؟ سوف تلقنهما درسا لن ينسياه .

استيقظت مبكرة واعتنت بأن تعد حاجيات زوجها كأفضل ما تفعل زوجة مخلصة .
رافقته إلى باب الشقة وقبائه ، وبدأ عليه أنه نسى ثورته في الليلة الماضية ، وصفح .
لم تتمتع بأمورها تركت الفتاة تؤدي أعمال المنزل الصباحية ، وجلست تزين
في حجرها . قبيل الظهر نادى .

— سميرة .. هل يمكنك أن أطلب إليك خدمة ؟

أحنت الفتاة رأسها مجيبة بأنها على استعداد لأن تفعل ما تشاء سيدتها .

— اسمعى . أنت تعرفين أن زوجى قد حرم على الخروج إلا بإذنه . وأنا في
حاجة إلى المال إثنى صندوق المجوهرات .

فتحت الفتاة الدولاب منصاعة ، وأحضرت الصندوق . تشاعت المرأة بزيئها ،
وتصيف شعرها وأردفت :

— اتعبيه وأخرجى منه الخاتم الماسى ، والساعة المرسمة . أجلها هذان .
هل تستطيعين الذهاب إلى الصائغ تشاربجان لتقدير قيمتهما : أريده أن يسكننى تلفونيا ،
فإن وافقنى السعر أعطاك المال ، وإلا عدت بهما ثانية ، لأعرضهما على صائغ آخر .
أرجو ألا تفقديهما ، واحذرى اللصوص . أرحمى صندوق المجوهرات إلى مكانه
واغلقى الدولاب .

فعلت الفتاة ما أمرت به . فرحت بالمهمة إذ كان عليها أن تؤدي بعض الأعمال
الخاصة بدورها . لقد وفرت بعض المال وودت أكثر من مرة أن تستأذن
من سيدتها لتشتري ذهبيا . أسرعت بالخروج ، ولم تمكد تفعل حق قامت السيدة
من مكانها وأدارت المفتاح في قفل الدولاب محاذرة ، ثم سحبت . ذهبت إلى المطبخ
وأخرجت سكينها كبيرا عاجلت به الدولاب حتى فتحت عنوة دون أن تمسه .
وأعادت السكين إلى مكانه بعد أن مسحته جيدا ثم رفعت « فيشة » التلفون .

إرتدت ملابسها بسرعة غير معتادة بنظرها وخرجت . ثم توجهت إلى صديقة
تثق بها . انتظرت مدة ثم إتصلت بزوجها تلفونيا ، ونسكت صوتها وهي تخبره
أن زوجته ليست بالمنزل ، وأنها لدى عشيقها . جن الرجل ، وإتصل بمنزله لكن
أحدا لم يرد عليه فترك عمله ، وتوجه إلى المنزل .

لم يجد أحدا ، وفوجيء . وهو في غرفة النوم بالدولاب مفتوحا ، ولم يحتاج
إلى وقت طويل ليعلم أن بابه قد فتح عنوة . إتحى إلى الهاتف ليطلب الشرطة
ولم يجد به حرارة . لاحظ أن الخادمة متنبية مقرر البقاء بالمنزل حتى تعود زوجته
ليعلم منها أين كانت ، وماذا ينقص من مجوهراتها .

جلس قلقا لا يدري كيف يفكر ، أفي زوجته الخائنة ، أم المجوهرات الضائعة .
تناوبته الأفكار السوداء ، لكن لم يمض وقت طويل حتى سمع الباب الخارجى
يفتح ، وجاء صوت زوجته تخاطب شخصا آخر .

— أدخلى يا سميرة . إن روجى لا يأتى الآن ، وسنعد طعام الغذاء سويا . .
سميرة . . سميرة . . أين أنت ؟

أظهر نفسه للسيدتين . كان يعرف المرأة الأخرى ويعرف زوجها ، ولا بأس
إن كانت زوجته قد ذهبت إليها كما هو واضح ، ويمكن مؤقتا أن ينض الطرف عن
مخالفتها أمره . أبدت زوجته دهشتها لوجوده قبل مواعده ، وسألته عن الخادمة .
يهدوء طلب منها أن تصحبه إلى غرفة النوم ، واعتذر للضيعة .

— آمال إن الفئاة يبدو أنها سرقت بعض مجوهراتكم ، وهربت ، هل تعرفين
ماذا ينقص ؟

بيد مرتمة تناولت صندوق المجوهرات وفحصت ما بداخله .

— أجل الخاتم الماسى ، والساعة الرصمة التى أهديتنهما فى عيد زواجهما الاول .

— يجب أن تبلغ الشرطة فوراً . . سأذهب إلى القسم .

— لماذا لا تتصل بهم تلفونيا ؟

— إن التلفون عاطل . .

مدت يدها إلى الساعة ترفعها ، وكأنما اكتشفت شيئا إلتفتت إلى زوجها ذلك
— إنه ليس عاطلا إن الفبشة منزوعة .. هاهى الحرارة .

لم يكونا فى الواقع فى حاجة إلى الإتصال بالشرطة إذ أن جرس الباب الخارجى
دق ، وحينما فتح الزوج الباب ألقى ضابطا من رجال الشرطة ، وجنديا يقبض على
الفتاة كما شاهد رجلا آخر . كانت الفتاة تبكى وتحاول الكلام ، ونهرها الضابط .
إستأذن فى الدخول ودلأ الجميع إلى حجرة الصالون . بدأ الضابط بالكلام فقال
مشيرا إلى الرجل

— إن السيد كشاريجيان صانع وقد آتته هذه الفتاة ظهرا تحاول أن تبيع خاتما ،
وساعة ثمينين . حينما سألتها عن مصدرها إدعت أن زوجها قد طلبت منها بيعهما ،
وتأكدت لكلامها أعطته رقم هاتفكم . حاول الصانع الإتصال بكم أكثر من مرة ،
ولم يفلح فشك فى أن تكون الفتاة قد سرقت المجوهرات فإتصل بنا .. والسؤال
الآن هل طالبت السيدة من الفتاة بيع المجوهرات ؟

تكلم الرجل فى هدوء

— اعتقد أنه لا داعى لسؤال زوجتى . أنها كانت فى الخارج ، وحينما عدت لم
تكن موحودة ، ووجدت أما باب الدولاب مفتوحا عنوة ، وكنت فى سبيل إلى
الاتصال بكم . أما التلفون فقد كانت الفتاة من لثمارة بحيث رفعت الفبشة ومن
البدهى أن يضرب الجرس دون أن يجيب أحد . لعلها إدعت أن سيدتها خرجت
بمد أن أوصتها ببيع المجوهرات . أنها ماهرة ولولا يقظة الصانع لآلأمت من المقاب .

صرخت الفتاة مدعية أنها مظلومة ، وأن ماقالتة هو الصدق . طالبت سؤال السيدة
ومواجهتها . أسكنها ضابط الشرطة ثم وجه كلامه إلى الرجل

— لاشك ياسيدى أنك صادق لكن أعتقد أنه من الواجب أولا سؤال السيدة
ومواجهتها بالمهمة ، وثانيا معاينة الدولاب .

انتقل الضابط والرجل إلى غرفة النوم ، وتركوا الفتاة المنتحبة مع الجندى ، والصانع .
أنتم الضابط للمعاينة واثبتا فى محضر ، ثم طلب أن تواجه السيدة بأشوال اللثمة .

جاءت المرأة ، وما أن رأتها الفتاة حتى حاولت الركوع عند قدميها لولا أن يد الجفدى حددت القبضة على ذراعيها . صرخت الفتاة بين دموعها .

— سيدتى إخبارهم أنك أنت التى أرسلتني لأعرض المجوهرات للبيع . . . خبرهم إننى بريئة مما يزعمون . . أرجوك ياسيدتى
يرود شيطاني نظرت إليها المرأة .

— أنا طلبت منك عرض المجوهرات ؟ طبعاً لا . ومن الذى فتح الدولاب
عنوة ؟ كلا عليك أن تجدى وسيلة أخرى للافلات من جريمتك . . لم أكن أعتقد
مطلقاً أنك لامة .

تدلى فك الفتاة دهشة وانسمت حدقتها رعباً . نسيت فى دهشتها حتى البكاء
والولولة . تدخل الضابط وقال بلمهة عملية .

— أظن أن هذا ينهى الموضوع . الآن إذا أذنت لنا أنت نأخذ أقوالكم حتى
لا نزعجكم بالانتقال إلى قسم الشرطة . .

جلسوا يستكملون المحضر . لم تتكلم الفتاة بعد هذا ، وإن استمرت تبكى بكاء
الماجز غلب على أمره . وإستأذنت الضيفة صديقتها ، وخرجت .

دق جرس الباب وهم ما يزالون فى صدد إستكمال المحضر ، وإستأذن صاحب
الفلزل وذهب ليفتح . وجد أمامه رجلاً فى ملابس مدنية يقبمه شرطيان ، ففطر إليهم
مستفهما وتكلم الرجل بلمهة رسمية

— هل السيدة آمال . . تقطن هنا ؟

— أجل إنها زوجتى . . لكن للموضوع الآن فى يدي الشرطة فعلاً ولست
أدرى من اتصل بكم

— أى موضوع ؟

— موضوع السرقة طبعاً هل هنالك موضوع آخر ؟

— أنا ... ضابط المخدرات ولا علاقة لى بالسرقات .

— مخدرات ... إيه مخدرات ... ماذا تعنى ؟

— إن معى أمراً بالقبض على السيدة آمال ... وإذا بتفتيش المنزل .
هل تسمع ؟

— إن آمال زوجتى .. لابد أن هناك خطأ .. لا يمكن يا حضرة الضابط
لا .. لا .. إن هناك خطأ .

كانت لهجة الضابط فى هذه المرة أقرب إلى الصرامة فى أديه البارد
— هل تسمع ؟

كالذهول تنحى الرجل عن الباب ، ودخل الضابط يتبعه الجنديان . إنجبه الضابط
دون تردد إلى حيث جلست السيدة . حى زميله ثم أمر الجنديين بالقبض عليها .
وقفت المرأة مذهولة متلعثمة

— لماذا ؟ تقبض على ؟ ماذا فعات ؟

— لأنك اشتركت مع اسماعيل المناوى فى تحارة المخدرات وتوزيعها

— أنا ؟ ... أنا لا أعرف الرجل بل ولا أعرف اسمه .

— لا داعى للإنكار ، لقد تتبعك المخبرون أكثر من مرة ، وراوك نذهبين
إلى داره ، ونخرجين منها . تبصرون وأنت تنصدين بتجار المخدرات للوزعين ،
ثم تبصرون إلى هنا

— لكن هذا مستحيل وأنا .. أنا لا أعرف الرجل ، ولم أره أو أسمع عنه
فى حياتى لا بد أن هناك خطأ

لم يكن الضابط ليؤخذ بهذه البراءة الطاهرة فكلم لاقى من مجرمات غايات ،
بل وقائلات يتنمن ببراءة الوجه . قال بنقطة

— أفرها البارحة . لقد شاهدك المخبرون وأنت تخرجين من هنا مرتدية
الفراء البنى وتصمين نقابا على وجهك . إنجمت من هنا إلى منزل المنارى رأساً
ويبدو أنك كنت متعجبة إذ عدت دون أن تقومى بجولتك المعتادة . أين المطف ؟

كانت تسمع مذهولة تماماً . توقفت عقلمها عن العمل ، وأبى أن يتابع الحكامات .
 هي .. توزع المخدرات ؟ كيف يمكن أن يتموها ؟ .. إنتبهت على صوت
 الضابط يكرر

— أين اللعطف الفراء ؟ إن معى إذن تفتيش ، ها هو .

قدم ورقة في يده لم يمتن أحد بالنظر إليها . سارت يتقدمها ، زوجها ويتبعهما
 الضابط والجنديات . دخلت حجرة النوم ، وأخرجت الفراء وتناولته الضابط .
 تحسست يدها المدربتان بسرعة البطانة ثم أدخل إحدى يديه بينها وبين الفراء ،
 وأخرج منها أشياء لم تعرف ما هي ، بعضها أخضر اللون ، وبعضها مسحوق
 أبيض ، موضوعة بناية داخل أكياس صغيرة من المايلون . إستمرت يد الضابط
 تخرج الأكياس حتى أضحت كمية غير صغيرة . ثم التفت إليها وقال ..

— هل لازلت تعبرين على أنك لا تعرفين شيئاً عن المخدرات أو المفاوى ؟

لما يشبه الحلم رأت زوجها ينظر إليها غير مصدق . رآته ينقل النظر بينها وبين
 الضابط والأكياس الموضوعة على المنضدة . أخيراً تكلم بصوت متهدج .

— لماذا يا آمال ؟ لماذا ؟ أنى لم أمنع عنك مالا أو متاعاً ؟ لماذا ؟

هنا وجدت صوتها وهتفت بمجنون

— ليس أنا .. أنا لم أفعل شيئاً ولا أعرف من أين أتت هذه الأشياء ..

إننى بريئة .. ألا تصدقنى .

لم يمد عليه أنه صدقها . إلتفت إلى الضابط على أن يجد عنده مخرجاً . وأراد
 الضابط أن يقطع أى شك باليقين فأل .

— البارحة مساء .. هل خرجت ؟

لم تستطع الإنكار

— أجل

— أين ذهبت ؟

توقفت عن الكلام . ماذا تقول ؟ هل تقول إنها كانت عند عشيقها ؟
— انا .. انا لا أذكر .

— هل رأيت أحد وأنت في الخارج ؟

— كلا .. لا أعتقد .

فجأة قبض زوجها على ذراعها يهرضا بشدة .

— آمال .. قولى لهم اين كنت البارحة .. قولى إنك كنت عند الحائكة الجديدة .. ما اسم صاحبك الذى ذهبت معك .. إخبارهم ولا تقفى هكذا ..

إنهجرت باكية وهزت رأسها نفيا . كلا إنها لا تستطيع . لكن كيف حدث هذا ؟ كيف يمكن أن تصل هذه الأشياء إلى مطلقها دون علمها ؟ سميرة ؟؟ إن الفتاة كانت تستعير ملابسها . إنها هى المجرمة . حاولت محاولة أخيرة . إبتلت إلى الضابط .

— أرجوك واجهنى بالناوى هذا ؟ سوف يقول إننى لا أعرفه .. إنها سميرة وليس أنا .. أرجوك .

رد عليها الضابط بهدوء .

— لن يجديك كل هذا .. إن للناوى قتل اليوم وهو يحاول الهرب . حتى لو كان حيا فمن البدهى أن ينكر معرفته بك ، ولن تؤخذ أقواله على محمل الجد .. أظن مع كل هذه الأدلة يستحسن أن تعترفى

جن جنونها . فجأة اندفعت من حجرة النوم وقبل أن يستطيع أحد أن يوقفها كانت قد دخلت حجرة الإستقبال ، وهجمت على الفتاة وقبضت على عنقها بيديها كلتيهما وهى تصرخ

— إخبارهم انك انت التى كنت توزعين المخدرات . قولى لهم أنك أنت ، ولست انا التى كنت ترتدين اللراء .. تكلمى .. قولى إنى بريئة .. اعترفى وإلا قتلتك .

لحق بها الضابط والجنديان وحاولا إبعادها عن الفتاة ، برفق أولا ثم بال العنف حينما لم تدعن . كانت لا تزال تصرخ وتبكي .

— سميرة .. تكلمي .. أرجوك .. لا تهدي حياتي

نمالت الفتاة نفسها ، وإستعادت جأشها من أثر الصدمة التي لاقاها أثر هجوم السيدة عليها وقالت ببرود .

— أنا ارتديت مطفئك ؟؟ طبعاً لا .. قد اكون اصة .. لكنني قطعاً لا أتجر في المخدرات .



العبقري

ساعة أن ولد شهدوا له بالبقية . وإلا فاق لطفه من عائلة سكرة في إحدى
الري الأرياف هذا الشمر الأشقر الجليل . ولم يكن أبوه ، ولا كانت أمة كذلك .
دار همس في القرية عن شائمة تناولت أحد أجداده ، أو لطفها إحدى جداته ،
وأحد جنود جلالة ملك الدولة المتحدة . ربما كان في الشائمة بعض الصحة ..
فلذا كانت ، فبقيرته ذأ من النوع الانجلوسكسوني .. والبقريات على أنواع ..
أم هل هي على أجناس ؟

لست أظن أن هنا مجال سرد الشائمة ، لكن حتى أرضي فضول من له هذه
الصفة المقيمة سأذكرها عبرا . أما أنت يا من خلوت من هذه الرذيلة فتستطيع
أن لا تقرأ الفقرات التالية فليس لها أي أثر فيما أود أن أرويها .

كانت الحرب بين جيوش عرابي ، وجيش جلالة الملك دائرة على أشدها ، والقرية

بعيدة عن ميدان القتال ، كان أول من رأى البريطاني أحد الخفراء . رآه مخبئاً بين أعواد الأذرة . أراد كل منهما أن يفر من الآخر ، ثم جمعهما الخوف ، قالوا في البلدة هو جاسوس فاقتلوه . وقال رجل من القوم عليم ، بل هو هارب من جيش الأعداء فأسروه : رد خبيثهم أن شيخ الخفر إختطفه من ثكنات الأعداء ، وطنيه منه واقتدرا ، وزعم فأكفهم أن المسألة لا تمود أن تكون شمس الصيف لم يتعمها الإنجليزى فساح في الحقول لايمى ما يعمل .

أيا كان الأمر فقد رأى شيخ الخفراء بمقربة اقتصادية أن هذا الإنكليزى هبه هبطت عليه من السماء . إن انتصر عرابى وجيشه فسوف يقدمه لهم ، ولا شك أنهم سيندقون عليه المصاب والنيشين . وإن كانت الأخرى فترى بكم سوف يسترد الإنكليزى أحد بنى جلدتهم ؟

حماه من عدوان أهل القرية وأواه . إستضافه في حجرة منفردة في داره وأكرم مثواه . قدم له من الغذاء ما لم يكن يطعم أهـل بيته حتى في المواسم ، والأعياد . كان الإنكليزى يشرب اللبن ، والشى صباحاً ، ويأكل لافل من أربع بيضات . إستراح إلى دواحن الدار فأخذ يلتم منها مائدة وطاب كل يوم واحدة ، حتى أتى على ما كان لدى أهل الدار . كان صبية الرجل وبذاته ينظرون إلى ضيفهم الممقوت ، وهو يلتم الطعام التمام بمقد ، وحسد ، وغيره . اضحت الحرب محور تفكيرهم ، وعط آمانيهم أن تنتهى وما كانوا قبلاً يشعرون بها ، أو يمكرون فيها وهى منهم دانية . كل هذا والإنكليزى ماض فى التهامه ينعم بالطعام ، والشمس ، والدفء ، لا يرب عن حياته تبديلاً .

إنتهت الحرب ، ولكل شىء نهاية ، ونهت الأولاد فرحاً . لم يكونوا يأبهون إلا أن يتخلصوا من الضيف الثقيل . ارتدى شيخ الخفراء أحسن ملابسه وذهب مستبشراً إلى ثكنات الجمود . لقد آن له أن يحصل على ثمرة ما كابد الأسابيع الطوال . روى للمترجم روايته وكيف أنه أكرم وفادة الجندى حينما علم أنه أحد جنود جلالة الملك ، وحماه من أهل البلدة ، وجبروتهم . رآه وهو يكلم أحد الضباط ، ثم رأى الضابط يرجع إلى سجن ضخم لديه . سمعه يخاطب الترجمات

بلمهجة قاسية لاتبشر بخير ، ويشير بيده نحوه ، والمجلد إشارات لم تكن تحتاج إلى كثير من الدكاء لفهم معناها .

قال له الترجمان إن سجلات جلالة الملك تؤكد أن الجندي الذي ذكر إسمه مات بطلا في ساحة القتال . أكثر من هذا ان السجلات قد أرسلت صورها إلى وزارة جلالاته . والأدهى ان الوزارة طلبت ان يمنح إسم هذا البطل وساما رفيعا . افعمد كل هذا يريد فلاح الشرقية ان يكذب ماحدث ؛ ويدعى ان البطل عنده حي ؟ أريد فلاح الشرقية ان يكذب سجلات الملك ، وجيش جلالة الملك ، ووزارة جلالة الملك ، وجلالة الملك نفسه ؟ إنه لاشك مجنون أو مختال .

قذفوا به خارج الشكنات ، ولم يستمعوا إلى احتجاجاته وإيمانه أن الجندي حي يلتهم طعامه ، وطمام عياله . وقف ينفخ التراب . واحتار فيما يفعل . هدام تفكيره أن يذهب إلى مأمور قسم الشرطة فهو القدي يستطيع ان يأخذ له حقوقه من هذه الطغمة المفسدة في الأرض . صمق إذ رأى أن مأمور القسم قد استبدلوه ، وحل مكانه واحد من هذه الطغمة المفسدة في الأرض .

عاد إلى بلدته يجر جر أذيال الفشل . كان أول ماعمله ان دخل داره وطرده ضيفه الثقيل . لكن أبي الضيف ان يخرج . لقد استمرأ العيش الناعم ، البيض ، والابن ، والجبن ، والسمن ، والشمس الدافئة ، ابن سيجد كل هذا ؟ . حاول شيخ الحفر أن يكون حازما ، إلا ان الانسكيزي كان باردا في دمايته ، أو دثافي برود . انتقل شيخ البلد من الحزم إلى التوصل ، الاسترحام . ولم ينقعه كليهما . استمدى عليه خفراء ، وأهل بلدته . رفضوا ، واتهموه انهم لن تكون لهم يد في إيذاء انسكيزي والانسكيزي يحتلون البلاد . حتى إن كان هذا الانسكيزي مات بطلا في ساحة القتال طبقا لسجلات جلالة الملك .

قالوا إن شيخ البلد تخلف من الرجل بأن طالب منه الإسلام ويؤوجه ابنته ، وقبل الانسكيزي فلم يكن له دين على أي الاحوال . من نسله جاء بطل قصتا ، هو نزع عرق .

انت ترى أن الشائمة لاعلاقة لها بالقصة ، وسوف تتأكد من ذلك بعد حين .
عاملوا الطفل بما يناسب ما وهبه الله من عبقرية . لم يضعوا غطاء على رأسه ،
فكان لثل هذا الذبح ان يستتر . لم يدعوه يعمل في الحقول ، وأرسلوه إلى المدارس
الاولية . لم يخيب لهم أملا . كلما مرت السنين زادت معها تعجيبات العبقرية ، حتى
جاءهم النبأ بأنه قد تم تعيينه مدرسا في إحدى المدارس الاولية . ليس في القرية .
وإنما في المدينة .

ارتحل بين هتافات أهل القرية ودعائهم ، واستقر في حياته الجديدة .
لكن ما كان لثل هذه العبقرية ان تنهأ ، او تقف بمجرد مركز مدرس في المدارس
الاولية . كان يجب ان تتحد . اتجه إلى الكيمياء يدرسها ويستوعب أحاجيها .
قرأ عن ذلك الدواء السحري الذي أعجب العلماء بالبحث عنه والذي يخفى الأشخاص
عن الرؤية ، فركز اهتمامه عليه .

سنوات مرت استكمل فيها عمله ، أو ظن أنه استكله : أراد ان يجربه
في أحد الفئران ، وما أكثرها في حجراته . صحيح انها فئران رمادية لاتشابه
اخواتها البيضاء ، لكن ما فارق اللون على أى الاحوال . حاول ان يقتنى فأرا
إلا أنها كانت من النوع المغلات . حتى الجبن الذى كان يضعه كانت تأكله دون
أن توصل عليها للصيدة .

بعد ان أعيته الحيلة حزم رأيه أن يجرب الصل في نفسه . ماضره لوجوبه وهو
رائق من نتيجة أبحاثه . في لحظة شعور بالبطولة استدعى أحد أصحابه من المرضين
وحققه في الوريد موها إياه أن المادة جديدة ورتت من الخارج لمعالج مرض
منأصل . إذا كان للمرض قد صدقه فإنه آثر ألا ينتظر نتيجة الحقنة ، وخرج
متعجلا بعد أن تأكد من أن أحدا لم يره ، وبعد قبض دريمانه .

شعر العبقرى برعدة شديدة ، وتصيب جسده عرقا . ما أن حل للساء حتى كان
مستقيا على الفراش لا يستطيع النهوض . أمضى ساعات وهو يشعر بالآلم في جميع
عصائه ، وقبل المجر نام مرهقا . في الصباح حينما استيقظ كان أول ما فعله أن نظر
إلى يديه . لم تحتفيا وان لاحظ شيئا غريبا فيها . لقد اختفى شعرهما .

هب من فراشه ، وجرى ينظر إلى وجهه في المرآة . كان الوجه مارال موجودا

لكن شعر رأسه اختفى ، كذلك اختفى شاربه الأشقر الجميل الذى كان نفورا به ، وحاجبيه ، بل ورموش عينيه . لم يبق له فى جسده شمرة واحدة . حانت منه لقطة إلى الفراش ورأى شعره عالىه . إنتابه زعر حقيقى وراح يتحسس جلده . أحس به أمسا كجلود الأطفال . لقد ذهب كل علامات عبقريته .

رأوه يرتدى شالا يلب به رأسه ، وذقنه مدعيا إصابته بالبرد . أخفى عينيه ، وحاجبيه وراء منظار أسود كبير ملاء نصف وجهه ، فلم يكن يستطيع أن يواجه الضوء . مضت أيام ذهب فيها إلى كل الأطباء فى المدينة . أخبروه أن بصيالات شعره جميعا قد ماتت ولا أمل له أن تمود . نصحوه أن يصنع أهدابا ورموشا صناعية ، تقيه الضوء ، والعرق .

قبل ذلك ، وأضاف إليها باروكة للرأس . اختارها جميعا سوداء اللون فلم يمد يثق فى الأصفر ، ولا فى العبقرية الانجلوسكسونية . من يدرى ربما سوف يجرب حظه مع العبقرية السامية .

لملك الآن تصدقني حينما قلت لك إن كل ماورد عن الشائمة لا داعى لقراءته ، لكن .. هو الفضول .

إهداء

الفقهاء التابعين ، درسي في التاريخ ،
وحيات المزيعة ، صهرانسانه الى
الأنح امستان نرهاد شريف
رائد الفقه العالمية في مصر .



درس فى التاريخ مقدمة

أيا بلغت اختراعات الإنسان وابتداعاته فهى بالضرورة لا ترقى إلى السكّال لأن الناقص لا يتولد منه السكّال . إذا فالعلم الوحيد السكّال هو علم الله سبحانه وتعالى .

من القرآن نقرأ « وعلم ربك آدم الأسماء كلها » العلم السكّال إذا لعنه الله لآدم أبى البشر . هل ضاع هذا العلم ، واندثر بمخروج آدم من الجنة ؟ لستنا نحسب ذلك فلا دليل تحت يدينا ، فى حدود علمى ، يشير إلى هذا ، بل إن العكس ربما كان هو الصحيح . خذ مثلاً سفينة نوح عليه السلام التى أجمعت الأديان ، بل والأساطير على سابقة وجودها . أى علم احتاجه نوح عليه السلام لهبنى السفينة ؟ وأى علم كان لديه ليجمع فيها زوجاً من كل المخلوقات ؟ اعنى كيف يجمع النمر ، والفهد ، والأسد ،

والزراف ، والنعام ، والنزال ، والاوز ، والبط ؛ وغيرها في حيز مهما بلغ موت
السمة فهو ضيق ؟ من أين كانت هذه المخلوقات جميعها تأكل ؟ عشرات من الأسنة
يمكن أن يضمها الإنسان دون تفسير ظاهر مقنع . لا أن يكون هنالك علم ، أو بقاء
من علم الله الذي لقنه لآدم .

تصورى إذا في هذا القصة هو أن عصر الآله الذي نميش فيه ليس رفيا حضريا ،
وإنما هو تدهور حضرى ، هو قشور علم ، وأن عصر العلم الحقيقى ، سوف يبدأ
حينما يبدأ الإنسان في الاستغناء عن الآله ، ويمود إلى ما كان عليه يوم بزغت الشمس
على أول يوم لآدم على الأرض .

« حق إذا أخذت الأرض زخراها ، وأزيت وطن أهلها أنهم قادرون عليها .. »

هى دورة الحياة تنهى من حيث بدأت ، ثم تبدأ من حيث تنهى .

لو رأيتمهم لحسبتهم نياما ، وما هم بليام . استلقوا مسترخين ، كل كيفما اختفى . على مدى النظر امتدت حولهم مروج خضراء ، وأزهار متباينة الألوان بلاءً هيرها الجو . سطت الشمس حانية عليهم ، تمنح الدفء دون حرارة ، وانسابت نسائم خفيفة ، تمنع دون برودة .

إذا أمنت النظر لظننتهم إخوة نواثم ، لا يسكاد فارق أمت بين بين أحدهم والآخر . عشرون شخصا يزيدون واحدا . لهم الرؤوس الفضة نفسها ، خلت من الشعر أو آفاره ، ملساء ناعمة تلمع تحت أشعة الشمس . أجسامهم نحيلة هزيلة لا تناسب بينها وبين الرأس حتى لتخشى أن تسقط لولا أن رقابهم لا أثر لها ، أو تكاد . إذا قدر لك أن ترى أفواههم لهالك أن لا أثر للأسنان فيها . أما آذانهم فقد قل حجمها ، والتصقت بالجمجمة حتى لا تكاد أن تبين .

إن أردت أن تقدر لهم أعمارا فلن تستطيع . ربما كانوا أطفالا إذ لا أثر لآلية تجاعيد على وجوههم ، ولا نبت لشعر لحية . وجوه ملساء ناعمة لم تترك السنون عليها خطوطا . تسترجع الروى إنهم يعطونك احساسا بمرى سمردى أو يكاد . لم سئلت لما استطعت أن تجيب .

كانوا يتكلمون ، أو على الأقل كان أحدهم يتكلم ، والباقيون يستمعون . لكنك لن تسمع ما يقول ولو وضعت أذنك على فم المتكلم . استمعوا للتخاطر إذ وصلوا به إلى درجة رفيعة من التقدم . أكثر من هذا ، لو أنك غررت دبوسا في جسد أحدهم ما تحرك ، ولا شعر . لقد تعلموا كيف يستمعون الكاء ، أو القرين .

الواقع أنهم لم يكونوا موحودين حيث ترام . أو على الأصح ، إنك لا ترى سوى أجسامهم ، أما هم فكانوا في رحلة بعيدة ، رحلة في الزمن يتلقون درسا في التاريخ . عفوا ، لمى أسأت التعبير . لم يكونوا في رحلة في الزمن ، بمعنى أنهم لم يسافروا عبر القرون ، وإنما استحضروا الزمن الذى يرغبونه . تماما مثل آلات التصوير إن استطاعت أن تلتقط صور الماضى وتجسدها . المادة لا تفنى ، وكل جسم يترك وراءه نوعا من الاشعاعات خاصا به ، فإن استطاعت آلة تجميعها لأمكنها أن

تصور الحوادث للناضية كأنها حاضرة تتمثل . والكا تستطيع ذلك ، دون آلات . ومع هذا فهناك فارق بين الآلة والكا . أن الاحداث في الآلة تعرض أمامك وتعرض ، أما الكا فتستطيع أن تستحضر صور الاحداث ، أعني أنها تتجسد كاملة أمامك ، كأنها تحدث ، وتستطيع الكا بالتالى أن تعيش فيها . أحداث تمر بأبعادها الأربعة الكاملة لتخلق عالما حقيقيا ، أو يكاد .

قال المتكلم :

— عليكم الآن أن تلتفتوا حولي ، ولا تتحركوا إلا جماعة واحدة وإلا لو انفصل أحدكم وضل طريقه ، ضاعت إلكامع الزمن وعسر استرجاعها . أتم الآن في مدينة كان اسمها القاهرة وأما السنة فهي ١٩٨٠ أى منذ أكثر من عشرة آلاف سنة خلقت . أن هذه أول رحلة لكم . لكن لا تخشوا شيئا لأن تلك الوحوش التي ترونها تسير في الطرقات لن تراكم ، ولن تسمع إلا في حدود ذبذبات صوتيه معينة بين ٢٠ ، ١٥٠٠٠ في الثانية وهم لا يكادون يعرفون شيئا من التخاطر ، إذا تصادف أن اصطدم أحدكم بكم فلن يشعر ، سوف يمر خلالكم .

هذه الوحوش هي أسلافكم الإنسان . لقد درستوهم تشريحيًا ، والآن عليكم أن تروهم بأنفسهم وتدرسوا كيف كانوا يتصرفون . لاحظوا القامة الفارهة التي تزيد على ضعف قامة أحدنا ، والجسم الضخم الذي لا فائدة منه سوى استهلاك كمية لا داعي لها من للساحة ، والأكسجين ، ومن الطعام ، والماء . لاحظوا الرأس الصغير المركب على هذا الجزء الرفيع المتصل بالكتفين المائلين . هذا الجزء هو ما يسمى بالرقبة . هل لاحظتم نسبة الرأس الصغير إلى الجسد . إن السبب في هذا هو أن أجدادكم لم يكونوا يستعملون من عقولهم أكثر من عشر قواء الطييرية ، وبالتالي فإن خلايا الدسمة أعشار الباقية ضمرت ، وقل معها التجويف الذي يحتوى على المخ ، حتى أن متوسطه لم يكن يزيد على ١٤٠٠ سم^٣ .

لعلكم لم يفتكم أيضا طول الذراعين ، هذا أثر من الماضي حينما كان الإنسان القرد يستعمل الذراعين في المساعدة على العدو ، تماما كما تفعل أنواع القردة .

لقد درستم أنه مازالت بهم آثار أسلافهم القرود . ذلك الشعر على الرأس مثلا ، بل وفي بعضهم ينطى الشعر جزءاً كبيراً من الوجه والجسد ، هو من بقايا القرود . الأسنان والانياب هي أيضا من بقايا الحيوانات ، كذلك الاظافر في اليدين ، والقدمين ، وهنالك آثار حيوانية أخرى كثيرة داخل الجسم درستوها تشريحيا ولاداعي لإعادتها .

لاحظوا التباين الهائل بين هؤلاء الوحوش سواء في لون الجلد ، أو الشعر ، أو العينين ، أو قسمة الوجه ، أو التركيب الجسماني . لن تجدوا ، إلا في ندر ، شخصين يتفقان مع بعضهما تماما يرجع هذا إلى أنهم كانوا يتزاجون مثل سائر الحيوانات ، وبالتالي كان ينطبق عليهم قانون الوراثة ، يرثون جزءا من سماتهم من ناحية الأم وجزءا من ناحية الوالد ، ويمكنكم أن تصوروا بلايين الانقسامات التي يمكن أن تنتج من هذا ، كما يمكنكم أن تصوروا مدى ما كانت تعمله النساء من آلام الحمل والولادة ، لقد اختفى كل هذا عندنا من قرون عديدة ، وأضحت عملية التكاثر تتم في حضانات وبذلك سهل علينا تحديد النسل تماما ، بل والجنس أيضا .

أوجه نظركم إلى تلك المواد التي يضعونها على أجسامهم . هذه ليست من جلودهم ولم تثبت عليهم إنما هي ما كانوا يطلقون عليه ملابس . كانوا يصنعونها من مواد مختلفة ، نباتية ، وحيوانية ، وكبائية ليتقوا بها الحر والبرد . لم يعرفوا كيف يتحكمون في أشعة الشمس ، ومسار الرياح ، وبالتالي كانوا عرضة للبرد ، والحر ، والأمطار ، وغيرها من عوامل الطبيعة التي سبق أن درستوها والتي سوف تشاهدون بعضها الآن وفي دروس لاحقة . لاتنبئهم حقهم ، لقد عرفوا كيف يتحكمون في الجو ، لكن في حيز ضيق مطلق كما سترون .

هذه الحجارة التي تحيط بكم من كل جانب هي المنازل والعمارات . هي في الواقع أثر أيضا من آثار الحيوان ، والإنسان الأول ، حينما كانوا يعيشون في كهوف الجبال . أثر مهذب قليلا يحتوي على بعض وسائل الراحة ، كما كانوا يتصورونها في تلك الأزمان العابرة .

لعلكم وأتم وقوف تدهشون إذ ترون أن الطرقات ثابتة لا تتحرك وأن الذي يتحرك هو تلك المركبات للرحبة التي تتزاحم وراء بعضها ، وذلك على عكس أبسط الابتداعات التي اكتشفها أجدادنا منذ أكثر من ثمانية آلاف سنة ، لكن تذكروا دائما أن الإنسان كان مارا في عهد طفوله عقلية ، وكانت حضارته ، وأنا أطلق لفظ حضارة تجاوزا ، تقوم جميعها على العبث ، ففد أن اكتشفها أحدهم ، ربما منذ عشرين ألف سنة ، دارت كل الاختراعات تقريبا حولها وكان لها ، في الآثار مثل ما لاكتشاف النار أو يسكاد .

صحيح أنهم كانوا قد بدأوا يستعملون الدرجات المتحركة ، لكن هذه كانت تحركها الكهرباء ونحن نعلم أن قوة الكهرباء محدودة لا نستطيع أن نحرك طرقات تغطي سطح الأرض مثلا . لهذا استعمل أسلافنا قوة حذبة الأرض وهذه بدورها دخلت مرحلة اللسان . أقول هذه المركبات التي ترونها ليست بشعة الشكل ، بطيئة الحركة ، غسب ، بل إنها أيضا تدير بما يسمى بالبرزين ، وهو أحد مشتقات البترول ، تلوث الهواء الذي يستشقونه ، كما أننا لم يكن فيهم ما كان يحمله من ميكروبات .

بمناسبة للميكروبات لعلكم تعلمون أن الجو حولكم مملوء بآلاف البلايين منها ، وانكم لو كنتم تلتفتون الآن منه لما أمكنكم الحياة لأكثر من ساعات فلائيل . أما سر تمكن أسلافنا من البقاء فيه فلا يزيد عن مجرد تأقلم عاليه ، واعتقاد الجسم على للقارمة لأجيال ، وقرون متعاقبة .

نعود إلى تلك الآلات المتحركة التي كانوا يطلقون عليها سيارات . ترون أنها من كل شكل ، وكل حجم . استعملوها في الانتقال ، وفي نقل البضائع ، والخضروات ، واللحوم . أحل كانوا يأكلون الخضروات وكثيرا من النباتات نيئة ، ومطبوخة ، وكذلك اللحوم ، بل أنهم تعدوا إلى المادون فتعدوا على بعضها . سوف أدخل بكم أحد هذه الأماكن التي يسمونها مطاعم ، وسترونهم يأكلون على الطبيعة ، ولن تستطعوا التفرقة بينهم ، وبين الحيوانات .

لكن دعونا نكمل حديثنا عن السيارات ، إن الإنسان البدائي سنة ١٩٨٠ كما ترون كان من الجهل والضعف بحيث احتاج في كل عمل يأتيه إلى الآله ،

كما ارتكز تماماً في معيشتهم على النبات والحيوان . احتاج إلى الآله للنقل برا ، وبحرا ، وجوا . آلات مثل هذه نماذج منها مازالت محفوظة في المتاحف ، وترونها الآن على الطبيعة . وقد تدهشون حينما تعلمون أنهم حتى في حساباتهم كانوا يستعملون آلة اسموها الكيبوتر ؟ انتهى آمالهم أن تكون كل حياتهم آلات .

فارتدوا بين حياتهم وحياتهم . لأخذ المواصلات مثلاً . إنكم تستطيعون الآن الانتقال بكافة الأنواع ، والأشكال . تستطيعون أن تنتقلوا بالكا بسرعة أكثر من الضوء آلاف المرات ، إذا أردتم الانتقال بين المجرات . إذا أردتم الانتقال بالجسد فما عليكم إلا أخطار المجرة التي تريدون الانتقال إليها ليكون في انتظاركم جسد لتستعمله الكاطوال المدة التي تريدونها . تماماً كما كان أسلافكم يفعلون في حجرة أماكن للبيت في الفنادق .

إذا كانت للمسافات قصيرة فتستطيعون دخول حجرة الأشعة لتدخلوا إلى ذرات يعاد تكوينها بسرعة الضوء في المكان الذي تريدون الانتقال إليه . إن شئتم مجرد الزهرة فأمامكم طرق أسلافكم المتحركة تسير بسرعة لا تزيد كثيراً على سرعة الصوت . كل هذا يتم بلا جلبة ، ولا ضوضاء ، ولا آلات . هو مجرد استغلال للقوى الطبيعية الأصلية ، أعني الأشعة الكونية . وأشعة الشمس ، والمغناطيسية ، والجاذبية .

سوف أعطيك أمثلة على التناقض الغريب في تفكير الإنسان في تلك العصور . كانوا مثلاً يحترعون مركبات فضائية لأول ارتياد للفضاء . تلك المركبات كانت تحتاج إلى كميات هائلة من الوقود حتى تستطيع التخلص من جاذبية الأرض ، ثم تنطلق بعد في الفضاء الكوني بقوة الاندفاع . في الوقت نفسه كانوا يدربون رواد الفضاء في حجرات عزلوا عنها الجاذبية . إذا فقد كانوا يعرفون أنهم يستطيعون عزل الجاذبية مع هذا فانهم لم يفسحوا في استئصال عازل الجاذبية بالنسبة لمركبات الفضاء إلا بعد ذلك بقرون . استطاعوا في مبدأ الأمر أن يعزلوها في بقعة معينة تبدأ منها المركبة في الحركة ، ثم عرفوا أن في الطبيعة مواداً طاردة للجاذبية لا تؤثر فيها .

مثل آخر . كان لديهم جهاز أطلقوا عليه التلفاز ، ينقل الصور والأصوات . إذا في الطبيعة توجد الصور والأصوات وإلا لما أمكن نقلها أصلاً ، وممع هذا فلم يفكروا في استحضار صور الماضي كما تفعل نحن ، وإن كنا قد استغنيا عن الآلة .

مثل ثالث . كانوا قد استطاعوا تخزين أشعة الشمس في بطاريات استعمالوها في تسير سيارات ، ولم يتمكنوا من إنتاج الكهرباء منها لإنارة مدينة أو قرية لم يفكروا في استعمال هذه الطاقة الشمسية الهائلة في خلق منطقة تخلخل هوائية ليسيطروا بها على مسار الرياح . حينما استطاعوا ذلك بعد قرون تمكنوا من استصلاح كل المساحات الشاسعة التي كانت مجرد أراض صحراوية . لو انتقلت بكم الآن إلى الصحراء رأيتم المحاولات اليائسة التي يقوم بها الإنسان لاستصلاح بضعة آلاف من الأمدة مستعملا في ذلك الآلات ، آلات لتسوية الأرض ، وآلات لضخ المياه ، وآلات للحرث وآلات لنقل التربة . عشرات الأنواع من الآلات ، وعشرات السنين من المجهودات الضائلة ثم تأتي الرياح لتنتقل مئات آلاف الاطنان من الرمال في ساعات قليلة لتهدم كل ما فعلوه . بعد قرون كافت استطاع الإنسان التحكم في مسار الرياح وقوتها . فسخرها في نقل الرمال ، وتسوية الأرض ، ثم سخرها في جلب الأمطار ، واستصلاح كل الصحاري في أقل من نصف قرن .

غير ذلك ، كانوا يعرفون أن الشمس هي المصدر الأصلي لكل الحيوية المخزونة في الغذاء والنفعم ، وأضرابه ومع هذا لم يحاولوا الاستفادة منها في مدعم باحيوية رأسا وبدلك يستننون عن الغذاء الوسيط ، والملابس . عرموا أيضا أن كل شيء مكون من ذرات وأن الفارق بين أية مادة ، وأخرى إنما هو في تكوين القدرة . لم يحاولوا الاستفادة من هذه المعلومات إلا في محاولاتهم تحويل المادان الرخيصة إلى ذهب لماذا ؟ لأنهم كانوا يسمون إلى الثراء ، لماذا ؟ لأنه كان لديهم نظام مالى يقتضى تقويم الأشياء بالنقود ، وهى عملات تصدرها الدول المختلفة مقابل غطاء ذهبي . فذهب بالنسبة لهم كان أساس التعامل . لماذا أيضاً ؟ لأن العالم كان مقسماً إلى

دول .. ما هي الدول ؟ لا .. لا هذا مجاله درس آخر . الآن ندرس فقط التطور التاريخي للحضارات البشرية عبر المصور ولا شأن لنا بالتطور الاجتماعي أو السياسي . نحن ندرس الانسان في مراحل حضارته المتباينة ولا ندرس الحضارات ذاتها .

الآن هل ترون ذلك الرجل القدي مختلف بزمته عن الآخرين ؟ أنه مثل رجال الشرطة . كانت لهم أهمية كبرى في ذلك العصر فأسلافنا كما قررت أكثر من مرة كانوا أقرب إلى الوحشية لهذا أكثر جرائمهم ، وعدم حفاظهم على النظام فكان لابد من قوة تحمي المجتمع ، وتكون أداة لتنفيذ العقوبات على المجرم . نحن لا نحتاج إليهم الآن لأن مجتمعا كما تعلمون خلوا تماما من كل جريمة . أن آخر جريمة وقعت منذ أكثر من ألف عام على ما أظن .

هنالك أسباب لوجود الجريمة أو انعدامها ، أهمها البواعث ظلال أو النيرة أو الموانع المياسة ، أو الدينية أو غيرها ، وليس في مجتمعنا أي نوع من هذا . ظلال لا قيمة له . ليس لدينا نقود أو شيء يشتري أو حتى حوائث للبيع . من أراد شيئا فلما عليه إلا أن يأخذ كفايته منه إن شاء أكثر من الكفاية فلن يمنعه أحد . لا يوجد أي تناحر على الغذاء ، فالكل يأخذه من مصدره الأصلي ، الشمس ، ولا يستطيع أحد أن يمنع أحدا . قيسوا على هذا كل الدوافع .

ليس هذا فعيب . أن المجرم عادة يقترب جرمه ولديه أمل في أن يفلت من العقاب . وهنالك استحالة الآن حتى لمجرد التصور . يكفي أن يتذكر المجرم أننا نستطيع أن نستعيد الأحداث كما وقعت صورة وصوتا ، بل وحتى « بعثات » الأشعة ليقنعنا باستحالة إملائه من العقوبة .

وفي حين أنه ليست لدينا صناعات أو أعمال بالمعنى المفهوم لدى أسلافنا ، فكل أمرى يعمل ما يريد تماما ، نراهم يرتقون من أعمالهم . أفتم تعرفون أن العمل الوحيد لدينا هو العلم الكوني ، فيما عدا هذا فلا يوجد عمل . خذوا مثلا الأشياء

للشابة لهم ، للموسيقى . ان منا من يؤلف القفط الموسيقية ويمزنها ، لسكنه لا يفعل ذلك بأجر إنما يفعله لأنها هوايته ، بينما كان أجدادنا يرتزقون منها . عالم النبات يهجن الزهور ، مثلاً ليمطى نوعاً أجمل شكلاً ، أو أكبر حجماً أو أذكى رائحة . هو يفعل ذلك لأنه يريد أن يفعله ، ولا يرتزق منه .

أوقات الفراغ ، إن صح التعبير بالفنبة لنا ، يمكننا ، إن شئنا أن نلتمتع بالموسيقى التي يؤلفها معاصرونا ، والتي يرسلونها في موجات محددة ، تصل إلى الأذن مباشرة وما على المرء إلا أن يركز تفكيره على الموجات الموسيقية . يمكنك أن تستعيد موسيقى أى قرون ، في أى بلد ، أو أى عالم ، بينما لم يكن يستطيع جدك الأكبر إلا أن يدير بعض آلاته ليلتقط عدداً محدداً من موسيقى معاصريه .

كذلك ما كانوا يطلقون عليه السينما أو التمثيل المسرحى . بينما يشمل أفقك دائماً العالم أجمع في أى مكان ، أو زمان سابق كان على أسلافنا أن يذهبوا إلى الديار المخصصة للخيالة ، أو المسرح أو أن يديروا آلاتهم في أكواخهم .

حياتهم مختلفة تماماً من كل الوجوه عن حياتنا ولا يستطيع المرء أن يستوعبها عن حقيقتها إلا إن عاش فيها كما تفعل الآن . كانت حضاراتهم تقاس بالآلات التي يندعجونها ، وأنواع الأكواخ المتعددة التي يشيدونها ، فإذا نقلت أحدهم إلى عالمنا لا اعتبرنا أقواماً متوحشين ، إذ لن يرى أكواخاً أو مدناً ، سبرى فقط مصاحات خاصة من الزهور ، ونباتات الزينة والجداول . لن يتصور كيف نعيش وأين ننام وماذا نفعل إذا أراد أحدهم الاختلاء بنفسه . لن يتصور أن أيامنا إن شاء الاختلاء بنفسه لساعية إلا أن يقيم حوله ، للمراحة التي يرغبها ، حائزاً من لاشعة غير للثرية ، وسيحترم الجميع هذا ولن يتخطأ أحد .

لن يتصور أحدنا كيف يمكن أن يوجد عالم بلا جيوش . ولا حكام ، ولا ... ولا مبان ، ولا قوات أمن ، أو أطباء ، أو أية مهنة أخرى محددة ، عالم

بلغت فيه الفردية ذروتها ، ومع ذلك فهو عالم إجتماعى تمازجى إلى أقصى الحدود .
لن يستطيعوا فهم مثل هذا العالم لأن عقولهم كما قررت مازالت في
مرحلة بدائية .

ومع هذا فلمن من الطريف أن أذكر لكم أن هذا المخلوق نصف للتوحش
الذى ترونها يهرول إلى غير هدف ، يشترك معنا في شيء واحد . هذا الانسان الذى
لم يكن يعرف كيف يعيش أو يتحرك إلا بالآلة البدائية الفريية، كان أيضا يبحث
عن سر الحياة .. تماما كما نفعل نحن الآن !! .

* * *

إهداء

الفهمنانه ، درسى فى التاريخ ،
ونباتات للزينة ، مزارعنا الى
الأخ الأستاذ شهاب شريف
رائد الفهم العلمية فى مصر .



نبات للزينة

هو ، عالم نبات . تخصصه نباتات الزينة ، هوايته تهجين النباتات . عائلته ،
 زوجه وفيه صبور ، وابن لايتعدى الثالثة من عمره ، وكاب أهدى لنجله في
 عيد ميلاده السابق ، منذ أشهر ممدودات . سكنه ، شقة بالدور الأرضي مكونة
 من ردهة ، وأربع حجرات تطل جميعها على شرفة واسعة تهبط منها ثلاث درجات
 إلى مساحة محدودة من الأرض استعملها صاحب الدار لإشباع هوايته . ترك حرماء
 من الشرفة مكشوطا ، وملاء بالنباتات المختلفة ، والزهور ، وأغلق جزءا
 بالترجاج ، وجعل منه شبه معمل لتجاربه وأبحاثه .

لو قدر لك أن ترى الشرفة ، أو الحديقة ، وما فيها لا تنالك التعجب . نباتات
 زينة متعددة تكون مجموعة فريدة فلم تكن فيها زهرة بألوفة ، أو نبات دارج .
 حديقة جمعت غرائب الأزهار ، والنباتات . لعل من أعجب ما ترى العين نبات ،

مجموعة منه مكان . أفراد به . أوراقه عريضة ذات حضرة اهتة ، تجلت لهم أعروق ،
حصرتها فأنحة حتى لتسكاد أن تكون بيضاء .

من هذه الأعروق بزغت أشواك يتمدى طول كل منها ثلاثة سنتيمترات ،
مست إحداها لمالك صلابتها ، ومدى حدة نصلها . لم يكن هذا كل ما هو
غريب في النبات . كان مزهرا ، ولن تمالك إلا أن تنبر من شكل الزهرة . لست
مخرج إلى أى عناء لتقارن بينها وبين رأس البقرة . هنالك الفسكان الضخمان ،
رائحة المستدق يملؤه الأنف . والقرنان الصغيران ، والعينان الواسعتان . أما اللون
فكان أصفرا ، ويحدد الأنف والعينين ، اللون الأسود . قارن ماشيت ، وستقف
مذهولا من المضارعة .

على هذا النبات كانت تدور تجارب رب الدار في السنوات السبع الماضية .
وعن تجاربه وأبحاثه كان يناقش زميله في التخصص ، ويشرح له وجهة نظره .
كان الجو حارا وكانا جالسين في حجرة الإستقبال ، والنوافذ مفتوحة . قال :

— إننى لا أجرى أبحاثا عن التهجين طبقا لقوانين مندل للوراثة ، فهذه لها
حساباتها وقواعدها ، لكن أبحاثى إنما تتخذ مسرى آخر . إن ما أريد أن أثبت
أن النبات يستطيع أن يؤقلم نفسه طبقا للبيئة الوجود بها . ليس هذا لحسب بل إنه
يتعلم بالتجربة . لقد أثبتوا أن للنباتات أحاسيس معينة : يفرح ، ويحزن ،
ير ويخاف ، فلا بد أن يكون له قدر معين على الأقل من العقل يزن به الأمور
التي تثير أحاسيسه ، ومشاعره .

خذ مثلا للنباتات المتساقطة . لو أنك وضعت عصا طويلة على بعد منها فإن النبات
يتجه إليها . لو غيرت مكان العصا فإن النبات يغير اتجاهه إليها ، لو غيرته مرة ثانية
لغير النبات اتجاهه . انك تضطر أن تستبعد المصادفة . كيف إذا اشتعر النبات
مكان العصا ؟

بالمثل النباتات آكلة اللحوم . منها النباتات للثانية التي نمرف أحد أنواعها باسم
صائد القباب ، ومثله البلاد وورث . هذا النبات له مشانن مجهزة بمقداح آلى .

تتغذى على الحيوانات الصغيرة ، ويرقات الناموس ، فيصيدها ثم يبتلعها . كيف يمكنه أن يحدد مكانها ويصيدها بهذه الدقة ؟ عن طريق ذبذبات معينة مثل الرادار ؟ ربما لكن يجب أن تكون فائقة الدقة والسرعة .

دعى اشرح نظريتي : أننا نعرف من قوانين مندل أن النبات يكتسب صفات نبات آخر عن طريق التهجين ، وبهذا تمسكنا من تحسين السلالات . لكن هل يستطيع النبات أن يكتسب صفات أخرى من تلقاء نفسه عن غير طريق التهجين ؟ هل يستطيع النبات بمجرد تغير البيئة أن يغير من صفاته ، وطريقة حياته ليتواءم مع البيئة الجديدة ؟

لقد بدأت بالنباتات ذات أكثر الصفات مفارقة . إن النبات المادى يمتص غذاءه من التربة عن طريق الدورة النروجينية التي تلعب فيها البكتريا الدور الأكبر . ثم هناك بعض أنواع النباتات تأكل اللحوم ، وهذه كأنهم لها وسائلها في صيد فرائسها ، وإبتلاعها عن طريق أوراقها الأزجة ، أو الشوكية الانفصالية ، أو الأوراق القاذفة الإبريقية ، أى النباتات المثانية . هذه ثلاث طرق لصيد الفرائس لستعملها النباتات . ويثور السؤال هل يستطيع النبات المادى أن يتحول إلى آكل لحوم ؟ وإذا كان ذلك في استطاعته فهل سوف يتمكن من إبتداع طريقه لصيد فرائسه ؟ أنا أقول إبتداع لأننى هنا أستبعدت تماما أية صفة وراثية ، فعل النبات الجديد أن يطور لنفسه طريقة لصيد الفريسة لا تمت بصلة إلى خصائص عائلته الأصلية أو فصيلته .

إننا نعلم أيضاً أن النباتات آكلة اللحوم تنمو في المناطق السبخية ، أو المستنقعات ، أو في التربة الضعيفة عموماً حيث يكون النروجين ناقصاً ، وهو المادة التي تستخلصها النباتات من فرائسها ، فالنروجين هو العنصر الرئيسى في جميع البروتينات . لنفرض أننى حرمت نباتاً عادياً من النروجين فهل يتحول النبات إلى آكل لحوم ؟ وهل يطور لنفسه وسيلة لصيد فرائسه ؟

على هدى ما تقدم بدأت تجاربي . اتخذت هذا النبات أساساً لأن لديه بعض
الإمكانات الطبيعية ، فأوراقه مفصلية شوكية . بدأت بالتجارب على النبات البالغ ،
ووضعت في تربة خاصة ليس فيها الكمية الكافية من النتروجين ، وسرعان ما إصبرت
أوراق الشجيرة ثم بدأت تذبل وتموت . أجريت التجربة على بذور النبات ،
لكنها لم تنبت . أخيراً أمكنني أن أعرف أدنى كمية من النتروجين يمكن أن تنبت
لها البذرة ، دون أن تتأثر كثيراً .

تلت ذلك خطوات أخرى أن أحرم النبات من امتصاص النتروجين من التربة تماماً ،
وأن أكل النقص عن طريق وضع قطع صغيرة من اللحم على الأوراق . ذبلت
بعض الشجيرات وماتت ، لكن البعض الآخر إستعاد قوته ، ونموه ، ولم يتوقف ،
بل أستطيع أن أقول إن الشجيرات نمت أسرع ، وأقوى من سائر عائلتها العادية
التي نمت في تربة طبيعية تمتص غذاءها منها .

على أن هذا لم يكن كافياً إذ بقيت نقطة أخيرة . صحيح أن النبات أضحي
بمستخلص احتياجاته من النتروجين من اللحم رأساً ، وهو بهذا صار من آكلي
اللحوم ، لكن لا بد أن يوضع له اللحم ، فهو عاجز تماماً عن تنفيذ نفسه ،
وإصطياد فرائسه . لقد إستطاع النبات أن يطور وسائل هضمه لكنه عجز عن
تطوير سبيل عيشه ، وإستخلاصه لنفسه ، أو سيد فرائسه ، مع وجود الإمكانات
الطبيعية لديه .

إتخذت في تجاربي سبيلاً آخر . توقفت عن وضع اللحم على الأوراق ،
والأشواك ووضعتها قريباً منه بحيث يتمكن إذا ما تحركت الأوراق قليلاً أن
ينالها . وفعلت تحركت الأوراق لتلتقط اللحم . جاءت تجربتي التالية أصعب من
الأولى . أنت ترى أن الأشواك متجهة إلى أعلى بينما باطن الأوراق خال منها .
وضعت اللحم تحت الأوراق ووجدت أن الورق إنكفاً لتنفذ الأشواك
في اللحم .

انتقلت بتجاربي إلى مرحلة ثالثة . لم أضع لحما جامد الحركة لـسكنفى أغلقت
حيزا محدودا أطلقت فيه فراشات . إن كل مرحلة من هذه المراحل إستغرقت
أسابيع ، وأحيانا شهورا ، وقد دونت التواريخ والتطورات بدقة ، وإنما أروى
لك الآن مجرد مختصر لما فعلت . بعد فترة لم أجِد الفراشات . هنا نقطة عامضة
نسيها لم أكن أدري في مبدأ الامر هل إستغرقت الفراشات من نفسها على الأوراق
فالتصمها النبات ، أم أنه صادها وهي محالقة في الجو ؟

أعدت التجربة مرارا ، وكانت النتيجة واحدة . كانت الفراشات تختفى دائما .
أخيرا أطلقت النبات ، أعنى أنى إنتزعت الحواجز من حوله ، ولم أساعده في غذائه
بالتزوجين اللازم . كان عليه أن يعتمد على نفسه ليمش . ذات يوم منذ ثلاثة
أسابيع رأيت عجبا . رأيت فأرا صغيرا يحاول التخلص ، وقد أظلمت عليه أوراق
النبات ، وإنتزعت الأشواك في جسده ، والدماء تقطر منه . لم يكن النبات يستعمل
ورقة واحدة ، ولا اثنتين ، إنما شاهدت الفروع نفسها تتحرك ، والأوراق تنصفق
على كل جزء من جسد الفأر حتى يختفى تماما بينها .

وقفت مذهولا . لكن هذا لم يكن كل شيء . أنى أقسم أنى رأيت ، أولعنى
وهمت ، أن عينا الزهرة البقرة ، تنظران إلى كأنما ترقباني . لم تكونا مجرد رسم
لعينى بقرة ، وإنما كانتا عينين حقيقتين يهما ترقب ، وفيها خبث . أقول لك الحق
لقد إرتعبت من للنظر حتى اننى تسمرت في مكاني ، ولم أنتبه إلا بعد فترة مبررة
إلى حجرتى ، واحضرت منها مذكراتى ، ثم عدت أدون مشاهدت وادان
التطورات . وعادت العينان ترقباني . إن النبات لم يطور نفسه ليعيد فرائسه بالطرق
المعروفة في النباتات آكلة اللحوم خصب ، وإنما ابتكر طريقة جديدة تماما خاصة به .
إنه يمد فروعه ، شأن النباتات المتسلقة ، وإن يكن أسرع منها في النمو ، ولا تلتصق
ورقة واحدة على الفريسة ، وإنما تنهال الأوراق الشوكية لتتفرق كل الأشواك في جسد
الضحية . أى حيوان صغير ذلك الذى يستطيع أن ينتزع نفسه من كل هذه الأشواك ؟

هذه الاشواك، والأوراق ؟ مامدى القوة اللازمة لمقاومة مثل هذا النبات ؟ هل يتمكن
س. فتراس حيوان أكبر، وأقوى من الفأر ؟ كلب مثلاً ؟ ماذا تعنى تلك النظرة
لقد رأيتها فى عيني البقرة ؟ هل وراؤها عسل بشكل ما ؟ أم كان هذا
سجود وهم .

إن الشجيرة العادية من فصيلة هذه الزهرة لا يزيد ارتفاعها عند أقصى نموها
من متر، أو متر ونصف ، ولا تتجاوز حجم أوراقها كفيد الرجل ، أما هذه الشجيرة
فقد أضحت ارتفاعها أكثر من مترين ، وبلغ حجم أوراقها مرة ونصف حجم
الأوراق العادية، وزاد طول أشواكها وحجمها، وهى تستطيع أن تدفرونها، ثم تميدها
سحبها الأولى لتبدو للرائى نباتاً عادياً للزينة . والشجيرة العادية تسقط أوراقها
حين تزهر أما هذه فلا تسقط . أما الزهرة نفسها ، فقد تضاعف حجمها .

كان على أن أجرى فحوصاتى علم إجابة أسئلة كثيرة . ماهى وسيلة المضم هند
امات ؟ كيف يختلف حيوان كامل لا يبقى منه إلا العظام ؟ مامدى فهم النبات إلى
التفوجين ؟ هل يقتصر فهمه على التفوجين فقط أم أنه تطور أيضاً ، واتسع نطاق
فهمه ليشمل البروتينات نفسها بجميع عناصرها ، بل والدماء أيضاً ؟ أمسكت بالمدة
حاددة التى أقلم بها النبات واقتربت . كنت أريد أن أقطع أحد الفروع ، لكن
قبل أن أفعل امتد فرع ، وشعرت بالأشواك وكأنها أنصال حناجر حادة تنفوس
فى ذراعى ، وتناثت الفروع تريد جميعها أن تنال على . لن تصدق مدى القوة
لدى كانت الأوراق والفروع تجذبى بها . إحتاج الأمر إلى كل مامدى من قوة
لمقاومة النبات .

تراجعت بسرعة إلى أبعد مدى أستطيعه ، وما تزال الأوراق ملتصقة بذراعى
وبن كفت باقى الفروع عن المحاولة . استعملت السكين فى فصل جزء الفرع القريب
وكانت المفاجأة . اننى أقسم على أن ما أقوله صحيحاً ، أو على الأقل هو ما توهمته .
سمعت صرخة ألم خائفة ، وسالت من الفرع المفصول عصارة حمراء لائقة ، هى أقرب
ما تكون إلى الدماء ؟ وسهل على بعد ذلك أن أترزع الأشواك من ذراعى .
إن السائل ، سواء أكان عصارة نباتية من نوع خاص ، أو دماء حقيقية ،

لا زال في مملئ أخرى عليه الفحوص ، ولم أنه إلى ندبة قاطعة حتى الآن لكن
 شيء أود أن أضيفه . هو إحساس شخصي ليس له أثر على إلا أنه
 حميق . إنني لا أقرب الآن من النبات إلا ومعي السكين ، ويخيل إلى أن
 بقرة ترقباني ، وأنها أضحت تخشاني . أشعر بها ترقبني وتتخفز ، وتتظر
 مني . لقد إقتربت أكثر من مرة بدرجة كافية ، ولم يتحرك النبات . ملاحظة
 حرة الرغبة من وجود الزهرة ، ومن أن لونها براق جميل إلى الطيور لم تعد
 إلى الشجيرة ، بل ولا تقرب منها . تراها في كل مكان في الحديقة تقفز
 إلى الأشجار والشجيرات إلا في هذه المنطقة .

سأقرب من سرد مالمدي ، والآر هيا بنا إلى الحديقة لأريك الشجرة
 من أحذرنا لا تقرب منها . لحظة واحدة حتى أحضر السكين ! .

عد ومعه المديه وما أن قام الضيف حتى ارتفع صراخ امرأة وطفل من الحجرة
 . ره واختلط الصراخ بلباس كب غاضب . إندفع الرجل وضيفه ليفاجئهما منظر
 السماء تنجمد في عروقهما . رأيا فرعا من الشجرة وقد انصقت أوراقه
 في قدمي الطفل ، تجذبه من فراشه ، والسكب يحاول أن يمزقها . شاهدنا فرعا
 من الشجرة من النافذة ألتصق بأوراقه بالسكب الغاضب ، بينما كانت الام المسكينة
 ملقاة على الأرض مغشيا عليها .

هذه الضيف لا يستطيع الحراك ، وشاهد ، كأننا هو في حلم ، رأس بقرة
 منقصر من النافذة ، وقد امتلأت عينها شراة ، ووحشية ، ثم شاهد الأب
 مع بالسكين يقطع في العرين الممتدين ، ويضرب فيهما كاجنون .



ساعة وصورة

هي الأثر الشغوى الوحيد الذى تبقى لدى من مخلفات والدى . مجرد ساعة حبيب معدنية مديمة كانت تشتري بقروش ، ليس لها نصيب من إيداع الصناعة ، أو جمال الفن . حملتها معنزا السنوات بعد وفاته . كنت أشعر أنها تربطني به بشكل ما ، وأنه ما يزال قريبا مني ، كما كان حال حياته . في حجرة مكتبي ، أمامي وأنا أنقل أنظر بينهما وبين صورته المعلقة على الحائط ، كنت أشعر بأنه كان يجلس معي يشاطرنى الفكر ، وكأننا نتحدث في سكون .

أهدتني رוחي في مناسبة ، اعد يد حديثة ، ورأيت أن أحاملها شكرا فارتديتها غير راع ، ونجيت الساعة المعدنية حاب . ما أرا امدات الساعة غير حق شمرت كأن قيذا قد أحاط بمعصمي ، وأن جزءا مني فقد حينها جلست إلى نفسي تلك الليلة خيل

إلى أن وجه والدى الوديع الذى كان ينظر إلى بحنو قد اكتمى حزنا ... وربما
بعض التائب .

لبنى كنت واحدا ، ولا شك أن هناك من سوف يقول عن ثقة إننى فائق
الاحساس ، واسع الخيال .. حسنا ربما كنت كذلك .. على أى الأحوال ليس
لدى دليل أقدمه .

فى تلك الليلة شعرت أن الحجرة أضحت خاوية إلا فى إنشائى إحساس غريب
من الوحدة ، وطفقت أنطلع إلى الصورة على أن تعطينى ما كانت تعمل ، إلا أنها
أضحت مجرد صورة صماء .

سارت الحياة سيرها المعتاد . لم ألبث أن نسيت الساعة المعدنية ، وداهمنى شئون
الحياة فألهتنى عن تذكرها . لعلنى كنت أدخلوا إلى كتى مساء أنطلع إلى الصورة
بين الفنية والآخرى ، وأتذكر الساعة .. لكن مع مرور الأيام نسيتهما تماما
حتى أننى كنت كثيرا ما أقضى المساء فى غرفة المكتب دون أن ألحظ حتى وجود
الصورة .

مرت سنون أخرى ، وذات صباح بينما كنت أبحث فى بعض حاجياتى رأيت
الساعة . نظرت إليها بحنين من راودته الذكري ، ثم عدت إلى بحى عما أريد حتى
عثرت عليه . هممت أن أففل الدرج حينما تملكتنى رغبة قوية أن أملاها ، ودهشت
إذ سمعت دقاتها العالية ، وكأنها لم تهمل طوال تلك المدة ..

صممت أن أضعها على المكتب فتناولتها فى يدى ، واتجهت بها إلى الغرفة .
ما أن انحطت قدسى الباب حتى كأن ليأرا كهربائيا قد مس الساعة . ارتجت فى
قبضتى ، واهتزت معها يدى . ربما حدث هذا من تأثير تيار الهواء البارد الذى
صادفنى .. أو ربما كان مجرد وهم ، أو خيال ..

توالت الأيام حتى كان يوم شديد الحرارة وكنت مرهقا من كثرة العمل .
جاست إلى مكتبى أنهى بعض أعمالى ، خاصة وأننى إحتزمت السفر إلى الإسكندرية

في اليوم التالي لألحق بمائلتي، شعرت بدوار خفيف ربما من شدة الحرارة أو من الإرهاق في العمل أو من كليهما . نظرت إلى الساعة المعدنية مزعماً أن أتوقف عن العمل ، وأوجل ما بقي منه إلى الغد .

ذهلت لما رأيت كان عقربا الساعة كأما قد مسحها الشيطان . دارا بسرعة رهيبة بلا هدف واضح . دارا عكس اتجاههما الصحيح ، ثم توقفا برهة ، عادا بعدها إلى الدوران ثانية في الاتجاه المعتاد . أعطتني حركتهما إيماء غريبا ، بأنهما يريدان أن يقولوا شيئا لم أتبينه . . فجأة توقفا عند الساعة الواحدة وسبع وعشرين دقيقة .

ربما كان ما حدث من تأثير العقبة التي شعرت بها لأنني حينما أغمضت عيني وتحتكما كان المقربان يشيران إلى الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة . هزعت إلى الخارج ونظرت إلى ساعة الحائط . كانت الحادية عشرة وثلاثين دقيقة . عدت إلى الساعة المعدنية ، ووجدتها كذلك . لا بد إذا أن تلك العنبة التي أصابتني هي السبب في توهمي ما رأيت .

كان الوقت مبكرا بالنسبة لي فتناولت بعض المأكولات الخفيفة ثم عدت إلى مكتبي . قبل أن أجلس حانت مني التفاتته إلى صورة والدي ، وأقسم أن النظرة التي طالعني من الوجه كانت حزينة . ظلت برهة أتطلع إليها ، ولم تتغير البقرة . أرغمت نفسي على الجلوس ، وركزت تفكيري في عملي وسرعان ما ندمجت فيه ، وإن كنت لم أنس تماما ما حدث .

دقت ساعة الحائط الثالثة صباحا ، وأنا ما رلت في عملي . بمحركة آلية نظرت إلى الساعة للمعدنية إلى جانبي . كانت الواحدة وسبع وعشرين دقيقة تماما ٢١ كنت وانفا أنني أثناء عملي قد تطلعت إليها وأنها وقت ذلك تجاوزت الثانية . كيف رجعت القهقري ؟ مددت يدي ، وتناولتها عسى أن تكون قد توقفت . ما أن لامستها حتى غشيتني غمامة رمادية طمست معالم باقي الحجرة أمامي .

تحيل إلى أن دقائق الساعة قد تماثلت حتى ملأت الحجرة ، وتردد صداها على الجدران .. لايستطيع هذا صحيحا .. إن الدقائق لم تتجاوز أذنى .. والصدى لم يتجاوز جدران رأسى .. تكاثفت العمامة الرمادية حتى كادت أن تكون سوداء .. وتوقفت دقائق الساعة .

ظننت أنى سوف أجن ، أو يرمى على ، فأغمضت عيني أتمالك نفسى . لم تذهب العمامة الرمادية لسكن خير إلى أنها إنقشعت من وسطها قليلا . تبدد الوسط كما يتبدد السحاب ، وشاهدت كأن سيارتى تخترق الحجب ، وتسير وسط الضباب فى طريق مرتفع . رأيت سيارة أخرى زرقاء اللون تندفع بسرعة خاطفة من ورائى ثم تجاوزنى . كان يمكننى أن ألحق رقبها إلا أنى لم أذكر سوى الرقم الأخير ، أربعة . وصلت السيارتان عند المرتفع فى وقت واحد تقريبا ، وإن تقدمت السيارة الزرقاء قليلا . عند المرتفع برغت فجأة سيارة نقل ضخمة ثم وصلت أذناى أصوات متباينة ، وأضحت الصورة مجموعة مختلطة لا تميز فيها بين الأشياء . وتحولت السحابة الرمادية إلى حمراء قانية . حمرة الدم .

تمالكت نفسى ، وفتحت عيني وأنا أنتفض . نظرت إلى الساحة المعدنية فى يدى . كانت قد جاورت الثالثة بقليل . يا لهذا ! ألم تقف عند الواحدة والنصف تقريبا ؟ هل جننت أم إختلطت الأمور ؟ ربما كنت إذا قد غفوت ، وكان مارأيت أضافات أحلام . أو ربما كان الإرهاق قد مل منى أكثر مما تصورت . أهدت الساحة إلى مكانها وذهبت إلى فراشى .

استيقظت فى العاشرة صباحا ، وابتدأت رحلتى إلى الإسكندرية فى الحادية عشرة والنصف . فى عمرة ، استعدادى للرحلة نسبت تماما رؤيا الليلة الماضية ، وتوجهت بسيارتى إلى الطريق الصحراوى . أنا سائق حذر بطبيعتى لا أميل إلى السرعة ، لهذا لم أصل الاستراحة إلا فى الساعة الواحدة . أوقفت سيارتى فى مكان الإنتظار وحيثما هبطت منها كان أول شىء إستلقى إنقلبى السيارة الواقعة إلى

حورى . كانت زرقاء اللون من النوع الرياضى السريع . خطر فى بالى آن
قبل ذلك لـكننى طرحت الخطر جانبا .

تناولت بعض المرطبات وعدت لاستأف الرحلة ، وكانت السيارة الزرقاء
مركبة فى مكانها حينما تركت الاستراحة . مرت الدقائق تتوالى ، وحدث
تغير فى الساعة أمامى ، ورأيت أنها قد تجاوزت الواحدة وخمسة وعشرين
دقيقة . بحركة آلية نظرت فى المرآة ورأيت السيارة الزرقاء تندفع
سرها رهيبه .

تنحيت بسيارتى إلى أقصى جانب الطريق لأدع للقائد أكر فرصة للدمر
حيث حذفت السيارة كما صعد مرتفعا ، ولم يكن من الممكن أن ترى
طريق خاليا . فجأة تذكرت الحلم ، أو الرؤيا ان شئت التعبير . كانت
تؤكد أن تجاورى ، وحدث منى التفاته إلى الرقم . لم أتبينه كاملا أو لعانى ركبة
نظرى على الرقم الأخير . كان أربعة .

دون أدنى تردد ، ودون سبب ظاهر ضغطت على فرامل سيارتى بأقصى قوة .
كن يتفادى حادث . بعد لحظات ظهرت على الجانب الآخر ، فوق قمة المرتفع
نقل كبيرة . لم يكن هنالك مجال لتفادى ما وقع بعد ذلك ، خاصة مع السرعة
السيارة الزرقاء .

سمعت أصواتا عالية محتلطة لإصطدام صفيح ، وحديد ، وصرخات عالية لم
رأيت السيارة الزرقاء ترتفع من الأرض تماما لتندفع بها سيارة النقل وتقتصد
السيارتان بسيارتى . نهشم الزجاج الأمامى ، وتطايرت شظاياها ، وإرتطم
بشيء ما . شعرت بالآلم مريعة فى صدرى ثم غابت الدنيا عن ناظرى .

معت أيام قبل أن افيق فى المستشفى ويستطيع المحقق أن يستجوبنى
ركاب السيارة الزرقاء الأربعة قد قتلوا فى الحادث كما أصيب سائق سيارة النقل
وشخص آخر كان إلى جواره ، بجراح خطيرة .

حيثما عدت إلى منزلى فى القاهرة بعد ذلك بأسابيع كان أول ما فعلته أن رفعت الساعة المعدنية من مكانها على مكنتى ، وطلبت إلى زوجتى أخفاءها بعيداً ونظرت إلى الصورة معتذراً . لقد أضحت إجتماع الساعة والصورة فى مكان واحد مصدر قلق لى . لو تركتهما معا فسوف أظل دائماً أتوقع شيئا ، ولن تستقر لى حياة كلا لست أريد أن انذر بالمستقبل ، أو أن أخبر فيه ، حتى وإن كان فى ذلك إنتقاد لحياتى .

* * *



موء الهرة

كانت ليلة من ليالى الشتاء القارصة البرد ، وذهبت لزيارة صديق .. بدأت
أستعد للرحيل عندما دق جرس الباب فتركيتى ثم عاد بعد لحظات ومعه شاب لم أكن
أعرفه . قدمه لى فرأيت أن من اللياقة أن أنتظر قليلا قبل أن أعود إلى دارى .

كان القادم شابا فى حوالى الثلاثين من عمره ، وسبما إلى أقصى حدود الوسامة ،
طويل القامة ، عريض الفكبين ، مفتول العضلات ، ومع هذا فقد لاحظت أن لونه
ممتنع ، وأن حول عينيه هالئين سوداوين شأن من يقضى لياليه أرقا لا ينام . كان قلعا
كمن يريد أن يقول شيئا ، ولعله كان ينتظر منى أن أرتحل ليفضى بمكنونه
إلى صديقنا المشترك .

قبل أن أنهض لأرتحل كان قد نفذ صبره وقام إلى باب حجرة الاستقبال وأغلقه .

كان تصرفا غريبا حتى أن الفضول دفعني إلى أن أتأمل لأرى متى ينفذ صبره ،
قطع صوت صديقي تفكيري .

— لماذا فعلت ذلك يا علي ؟ أنت تعلم أننى أعيش مفردى فى الشقة .
رد عليه الشاب بعصبية ظاهرة .

— لا تؤاخذنى إننى عصى ، والواقع أننى أتيتك لأقضى بمتاعى عسى أن نحدد
لها حالا فلقد شل تفكيري تماما .

لم يحبه صديقى ، وانتظار أن يتم الزائر حديثه إلا أنه تردد ، ونظر إلى ،
وهنا رأيت من واجبي أن أرتحل .

— إننى كنت أعزم الخروج على كل حال ،

فمت وانما وقام الرحلان هنا حدث شئ غريب رددت الحجرة مواء هرة ،
إننى أستطيع أن أقدم أن المواء جاء من داخل الحجرة ، وأيس من خارجها .
ومع هذا فإن الحجرة كانت مغلقة ولم أرها أية قطعة ، فى اللحظة التالية سمعنا
صرخة الضيف الجديد .

— إنها هنا .. لقد تبعتنى الملعونة .

بحركة عصبية سريعة وضع كفا يديه على عينيه ، ارتفع صوت القطعة مرة ثانية ،
لكنه لم يكن مواء ، وانما زمجرة ، كأنما هى تهجم على شئ . صرخ الضيف
ثانية ، لكنه لم يرفع يديه عن وجهه ، مرة ثالثة علا مواء الهرة ، وسقط الضيف
على القعد خلفه ، وانفجر فى البكاء .

وقفنا ، صديقى وأنا مذهولين . بحركة لا إرادية دارت عيناى فى الحجرة بحثا
عن قطعة كنت موقنا بأنها غير موجودة ، كالم يكن هناك مكان يمكن أن
تختفى فيه . ولم أهرع عليها . تقدم صديقى من الضيف ، ووضع يده على كتفه
يسرى منه بكلمات حتى هدا قليلا ، لكن جسمه كله كان ينتفض . مديديه
كثيها ، وبصوت مرتمش قال كلمة واحدة .

— أنظر .

نظر صديقي إلى اليدين ، ونظرت . كانتا يدين قويتين ومع هذا فإنهما كانتا تهزان بعنف لم يظهر عليهما شيء في بادئ الأمر ، لكن قبل أن نحول نظرنا عنهما بدأت خطوط تظهر على ظاهر الكفين . تسمرنا مبهورين . لم يكن هنالك شك في أن هذه الخطوط تبدو كآثار مخالب قط . إزداد ظهورها كلما مرت الثواني ، وازدادت عمقا حتى بدت واضحة تنصبب منها الدماء . وسمعت صديقي يهتف .

— يا إلهي ..

التفت إلى وقال .

— لا تتركنا الآن .

هرع إلى خارج الحجرة ، وعاد بعد دقائق ومعه بعض القطن وصبغة البود ، أخذ يضعها على جراح يدي الضيف .

وسأل صديقي .

— كيف حدث هذا ؟ تستطيع أن تتسكك أمام صديقي ، وربما ساعدنا وجوده .

لم يتردد الضيف في هذه المرة . اندفعت الكلمات تخرج من فمه كأنها طلقات رصاص .

— يحسن أن أخبرك القصة من أولها ، وربما سوف تصدقاني بعد القدي شاهديناه . رأيتها ، أغنى زوجتي ، أول مرة في النادي . كانت هادئة ، ودیمة ، تتفجر أنوفة حق أنسى صممت أن أعرف إليها . قابلتها مرارا قبل أن يقدمني إليها أحد اصدقائي ، ومنذ ذلك الوقت تآلف قلباننا ، لم يكن لديها ما تخفيه ، أو هكذا بدت لي . هي ابنة وحيدة لوكيل وزارة . وتلقن قريبا من النادي ،

وقد أنمت دراساتها الثانوية بحسب ، إذ أن والديها لم يقبلا أن تلتحق بالجامعة .
أو هكذا ادعت .

كان صوتها خفيضاً ناعماً مس شفاف قلبى ، والواقع أن كل ما قالته ناسبتى إذ أننى
أيضاً لا أحب الجامعات ، وأفضل أن تبقى المرأة فى بيتها ترعى زوجها ، وأولادها .
أخبرتني أمها ، وإن لم تلتحق بالجامعة ، إلا أنها مغرمة بالقراءة ، تقضى فيها معظم
أوقاتها ، ولا تأتى إلى النادي إلا لفترات قصيرة ، ثم هى لا تبرح منزلها بعد ذلك .

شيء واحد فقط لم يعجبنى هو أنها كانت لديها نقطة فى المغزل شغوفة بها لا ترضى
عنها بديلاً . أنا شخصياً لا أحب القطط ، وأعشق الكلاب ، ولدى كلب من نوع
الوفاً أعتر به جداً . حينما أخبرتها بذلك قطبت ما بين حاجبيها ، وانتقلت بالحديث
إلى موضوع آخر .

شيء آخر لاحظته وإن لم أعره اهتماماً فى ذلك الوقت . حينما كنا نسير لم تقربنا
كلاب النادي مطلقاً ، بل إن أحدها كان مقيداً إلى السور الحديدى ، وحينما إقتربنا
منه هب من رقدته كأنما أفرغه شيء ، وبذل جهوداً جبارة ليستخلص من قيده .
خشيت أن يهاجمنا ، فمسحتها بعيداً عنه ، ورأيت أنه هداً ، وإن كانت حينها
فلتا تتابعانا .

صمت أن أجعلها تغير رأيها فى الكلاب ، فإنتهزت فرصة تواعدنا على اللقاء فى
اليوم التالى بالنادى ، وصحبت معى كلبى عسى أن تألفه ، إذ أننى ، أقول لك الحق ،
كنت قد صمت على التقدم بطلب يدها . شاهدتني من بعيد ، ودهشت إذ رأيتها
تترك مقعدها ، وتهرع إلى سيارتها . جربت وراءها مذاقها إلا أن كلبى توةب لجأة
حينما إنجهننا إليها ، وذهبت جهودى فى أن أرحزحه من مكانه هباء .

لم أرها بعد ذلك أياماً ، وأخيراً جاءت إلى النادي . ذهبت إلى لقائها إلا أنها
أفاحت عني بوجهها غاضبة ، وحين سألتها عن السبب قالت .

— أنت تعلم أننى لا أحب الكلاب ، وهذه الوحوش لا تحبني أيضاً لماذا
أتيت بكلكبك ؟

حاولت أن أقنمها بأنه كلب لطيف ، وأنها لو صبرت قليلا لأحبته دون شك ، إلا أنها رفضت حتى الإصغاء إلى ، وقالت ببلهجة قاطعة :

— إن كنت تريد أن نستمر معرفتنا فمليك أن تتخاضع من السكاب .

عز على أن لا تقبل حتى مجرد المحاولة لإرضاء لى ، إلا أنني كذت غارقا في الحب فلم أرمسها من أن أصحى بسكاي ، خاصة وأن أخفى الصغيرة متعلقة به ، فسمعت أن أعطيه هدية لها . أخبرتها عما قررت فالتصمت وقالت .

— بشرط ألا تأتى به أخذك إلى المادى .

تضاحكما ، ومر الحادث بسلام . عادت علاقتنا طبيعية بعد هذا حتى جاء اليوم الذى قررت فيه أن أطالب يدها . سألتها إن كانت تقبل أن أذهب مع والدتى إلى زيارة والديها في المنزل إذ أن والدى متوفى ، فاستعملتنى إلى اليوم التالى ، ولا بد أنها كانت تستأذن والديها .

في اليوم التالى أخبرتنى بأن والديها يسرها أن يستقبلانا في موعد حددته ، وكان معنى هذا أنها قبلت شخصيا الزواج منى ، وأن الأمر أصحى متوقفا على رضا والديها . فى الموعد المحدد ذهبتا ، والدتى وأنا ، وإستقبلنا الأب ، والأم مرحبين . كانا شخصين طبيين إلى أقصى حدود ، حتى أنني أحببتهما منذ الولادة الأولى . بعد فترة دخات الفتاة تحمل بعض الرطبات ، والحلويات وورائها هرة تتبعها .

كانت هذه أول مرة أرى فيها القطة . لم يكن فى شكها ما إستلقت النظر . مجرد قطة من النوع الرومى ، ليست كبيرة الحجم جدا . أما لونها فكان أيضا عاديا من الذى يطبقون عليه المشمشى . سار كل شيء فى طريقه العادى أما أنا فسكنت محلقا فى آفاق السعادة لا أكاد أن أرفع عيني عن الفتاة . جاءت القطة تتمسح فى ، شأن أقطط ، فداعبت شعرها الناعم دون أن ألقى بالا لما حولى . بعد أن خرجنا سألتنى والدتى إن كنت قد لاحظت شيئا تأجبها ، بأنها قطعا لاحظت جمال خطيبتي المستقبلية ، إلا أنها قالت .

— كلا . لا أعنى هذا . هل رأيت كيف كان الوالدان ينظران برعب إلى القطة ؟

— برعب ؟ ما هذه الأوهام يا أماء ؟

— كلا يا بنى ليست أوهاما لقد حل عليهما الوجوم عند حضور الفتاة ، وقطمتها ، ولم يتككما إلا ردا على كلامنا .

ضحكت وسألتهما إن كانت ستبدأ تمثيل دور الحماة ، فهزت رأسهما نفيا

— كلا يا بنى .. إن الفتاة وقطمتها شيء غريب ، وددت لو راجعت رأيك فى زواجك منها .

— أماء .. إننى لا أهتم بالقطة ، وأحب الفتاة وهى التى إختارها قلبى .

تمهدت مستسلمة ، ولم تفه بكلمة بعد هذا . تمت الخطبة وبعد أشهر تم الزواج . عشت فى سعادة لا تشوبها شائبة ، هذا إذا استثنينا العلاقة الغريبة بين زوجتى والقطة ، وبنضها الشديد للكلام . كانت زوجتى مثالية لم تأل جهدا فى راحتى بل وتدليلى . ومن ثارت بيننا مناقشة حول الإيجاب لأن زوجتى لم تكن تحب أن تنجب فى حين أننى من المفرمين بالإطمان لم أرد أن أصل بالمناقشة إلى حد الغضب لأننى لم أود أن أعكر صفو حياتنا فى البداية فتركت الأمر للزمن ، وانفا أنها سوف تقتنع بوجهة نظرى فى وقت قريب .

هنالك أشياء كثيرة حدثت لم أعرها ساعة حدوثها إنتباها ، أولعننى أرحمتها إلى الصدفة ، لسكننى حينما استميدتها على ضوء ما أعلمه الآن تبدو ذات مغزى مختلف . مثل ما حدث لابنة عمى حينما جاءت تزورنا لتمنيتنا بالزواج . ذكرت بمأزحة أنما كنا حطيين ، وفسخنا الخطبة . رأيت وجه زوجتى يتغير وقد علاه الغضب . وحينما لاحظت ابنة عمى ذلك إختصرت زيارتها وخرجت . بعد أن أعلقت باب الشقة سمعت صراخها على الدرج ، فتحت الباب وهرعت إليها لأرى الدماء تسيل من ساقها . سألتها عما حدث . فأخبرتني بأنها تمثرت فى قطة ، وأن القطة أنشبت مخالبها فى ساقها ، ومزقت جلدها . أردت أن أعود بها إلى مسكنى ولسكنها أبت مرتبة ، وفضأت أنى أصحبها إلى أقرب صيدلية .

أذكر أيضا قصة ذلك الموظف بالاستيراد الذى كان يضائقنى فى عملى كثيرا . حدث ذات مرة أنه رفض أن يوافق على بعض التراخيص الهامة ، وعدت إلى منزلى مكتئبا . وحينما سألتنى زوجتى عن السبب أخبرتها ببراءة وسألتنى عن اسمه ، متملة أنها تعرف أشخاصا من أقاربها لهم علاقة بالإدارة وربما يفيد أن يتوسطوا لديه . أخبرتها عن الاسم ثم نسيت الواقعة فى غمار عملى . مضت أيام وحينما ذهبت إلى الإدارة لأحاول أن أفسح للموظف المسئول بوحدة نظرى ، إتضح أنه متغيب فى إحارة مرضية . حينما إستفسرت دهشت حينما أبشرونى أن قطا هاجمه أثناء عودته ليلا إلى منزله ، وأصابه بخدوش خطيرة .

لاحظت أيضا أن والديها لم يحضرا لتهنئتنا ، وهو شيء غريب ، خاصة وأنها وحيدتهما . حينما سألتها عن السبب طرحت الموضوع جانبا ببساطة ، قائلة إن هنالك سوء تفاهم بين الثلاثة . عرضت أن أدخل لأسوى أى سوء تفاهم إلا إنها أبت . وحينما ألحقت أصرت بشدة ، بل ذهبت إلى ان تهتنى شبه أمرة ألا أتدخل فى الامر ، أوحى أزورها . لم استمع إلى قولها وانتزعت مرصعة ، وذهبت إلى منزلها .

فتمت لى والديها الباب وحينما رأتهى بان الفرع عابها . لم تدعنى إلى الدخول وسمعت مواء قطرة ، ثم رمجرتها ، وسرعت الأم بفتح الباب فى وحيى . كان تصرفها غير مفهوم ، وغير لائق ، وكان لابد لى ان استمع إلى تفسير لما حدث . طرقت الباب بشدة ولم تجبى الأم لفترة ثم سمعت صوتها كأنما هى تبسكى ، رجتى أن أبعد ، والاهود ثانية .

كان تصرف غريبا جدا ، ولوانى أرحمته حينئذ إلى ان الخلاف بين زوجتى ووالديها أكبر مما ظننت ، وقررت فى نفسى أن أزور حمائى فى مكتبته فى اليوم التالى لأحاول تسوية الموضوع . لما عدت إلى المنزل فوجئت بزوجتى تستقببنى بغضب شديد ، وتسألنى عن سبب مخالفتها وذهابى إلى منزل والديها . أحبتها بهدوء أننى لأحب لزوجتى أن تكون عاقبة ، وأنه لا عيب مطلقا فى أن تذهب إليهما وتعذر حتى إن كانت تظن أنهما مخطئان .

إزداد غضبها ، وانتهى بها الأمر أن نهتني نهيا قاطعا عن التدخل . أخذتها بالحزم ، وطلبت منها أن تذهب لإرتداء ملابسها حتى يقوم بزيارتها ، ولما رفضت قبضت على معصمها وقدها بقوة ، لكن بغير عنف ، إلى حجرة النوم . هنا سمعت زمجرة القطة فالتفت إليها . رأيتها تقفز من الأرض كأنما تبني عنق ، فاضطرت أن أتولا معصم زوجتي ، وأضربها ضربة القتها على الأرض .

سمعت صرخة صادرة من زوجتي ، وحررت القطة لتختفى من أمامي . حينما أعدت النظر إلى زوجتي كانت تضع يدها على وجنتها كمن تلقى لكمة ، والواقع أنني رأيت آثارها ، وإن أدعت أنها اصطدمت بشيء في الصباح .

حوادث كثيرة مثل ماسبقت ، صغيرة ، ومتباعدة ، بحيث لا يستطيع أن تربط بينها . بعضها أنسيته ، ربما كانت هنالك رابطة لم أنبئه إليها ، أهنى القطة . دائما كانت القطة تظهر بشكل ، أو آخر ، إلا أنني لم أهر الأمر إهتماما ، أو أوليه تفكيراً . جاء اليوم الذي اضطرت فيه أن أنبئه . كنت قد سمعت على أن أ تجاوز عن منع زوجتي لي من زيارتي والديها ، فالوالدان بالنسبة لي شيء مقدس . كنت متأكدا أن زوجتي سوف نحمد لي عملي بمجرد أن تعود العلاقة الطيبة إلى مجاريها .

ذهبت إلى والديها في مكتبه ، وتلقاني مرحباً . طلبت منه أن لقاء خارج المكتب لاناقشه في موضوع سوء التفاهم مع إبنته ، وتهديج صوته ، وهو يقول إنه سيخرج معي ويعتذر عن أعمال يومه . بعد قليل كنا في أحد المقاهي المطلة على النيل منفردين في منضدة بعيدة عن الأسماع .

قبل أن أستله ، عن سبب الخلاف إبتدري متسائلا إن كنت قد لاحظت شيئا عريبا على زوجتي كدت أن أنبئه عن شدة تعلقها بالقطة ثم استسخت نفسي فأحببت بالنفي . جاء سؤاله التالي مفاجأة لي حينما طلب هو رأيي في علاقتها بالقطة . أحببت بعدم إكتراث مصطنع أن هذه مسألة لم أوليها إهتماما . تشابكت يدي الرجل ، وتلاعب في أصابعه بحركات عصبية وهو يردد .

— كلا .. يابني .. كلا .. إن المسألة أخطر مما تتصور .. إن القطعة ليست حيوانا ، إنها شيطان ، وقد حولت إبتنا الوديعة إلى شيطانة مثلها .. أراك لاتصدق .. لكن هذا هو الواقع ، واستطيع أن أذكر لك عشرات الحوادث التي يشيب لها الولدان .. لقد بدأت إبتنا تتغير حينما قرأت كتب السحر .. وذات يوم دخلت القطعة حانة للنزل .. واتجهت إليها رأسا .. لم ندر من أين جاءت ، ولا كيف دخلت . منذ ذلك اليوم تغيرت الفتاة تماما حتى أننا أصبحنا نخشاه .. مامن شخص أغضبها إلا وقع له حادث .. حينما أحبتك فرحنا ، أمها وأنا ، وأملنا أن تعود إلى حالتها الأولى .. لكن يبدو أن لأمل في ذلك .

حاولت أن أخفف عن الرجل إذ بدا لي أنه سوف ينهار . وعدته أن أبعد القطعة عن زوجتي ، ورأيت يهز رأسه نفيا بأسف .

— كلا يابني .. إنك لاتستطيع .

حينما عدت إلى المنزل بعد ذلك إستقبلتني زوجتي بنضب وسألتني أني كنت .. أخبرتها عن مقابلي لوالدها ، وقلت مازح إنه أيضا لايجب القطعة ، وإني وعدته أن تبعدها عنها . بهدؤ غريب أبت ، وطلبت مني ألا أتحدث في هذا الموضوع . ألحقت عليها مذكرا إياها بأنها قد تهدم حينما ، ولأول مرة رأيت الدموع تلساب على وجنتيها .

— إنكم لاتفهمون .. إني لاتستطيع أن أبعد عنها .

جاءت إلى جوارها وضمتها إلى صدري .

— حق لو طلبت إليك ذلك .

إنخرطت في البكاء ، وأخذت أكفك دموعها ، وأسرى عنها مهنونا عليها . الامر لكما لم تهدأ . من خلال نشيجها تكلمت .

— إنك لاتفهم إني أحبك .. لكني لاتستطيع أن أبعد عن القطعة .. حق ولو أدى الامر إلي أن أفقد ..

سألتهما منهجياً

— لماذا ؟

لم ترد ، و ارداد نشيجها ، ولم تكف حتى حولت الحديث إلى مجال آخر . كنت قد إهترمت أمراً لم أخبرها به . أعددت لخطي المدة . . بعد أيام اصططعت زوجتي بحجة شراء بعض الملابس لها ثم إستأذنت منها ، وتركتها . هدت مسرعا إلى المنزل ومعى جوال متين .

فتحت الباب ، وناديت على القطة . لم تظهر بادىء الأمر ، وحينما دخلت الصالة إندفعت كأنما من الهواء تريد وجهي . إذا قلت لك كما إنه دار قتال حقيقى بكل ما في هذه الكلمة من معنى بينى وبين القطة مرثيا تسخران منى ، تجرحت يداى ، لكننى أفهمت أن أبعداها عن وجهى . أخيراً أمكننى أن أضعها فى الجوال ، وأخرج بها من المنزل ، وأضعها فى صندوق السيارة الخلفى .

أنا لا أحب قتل الحيوان ، لهذا صممت أن أبعد إلى أقصى ما أستطيع ، وأتركها فى الصحراء . إتخذت الطريق الصحراوى إلى الاسكندرية ، وتخطيت الإستراحة وعلى بعد مائة وثلاثين كيلو متراً من القاهرة أوقفت السيارة ، وأخرجت الجوال وفتحتنه .

يفتظر المرء من قطة عادية فى مثل هذه الظروف أن تجرى ، أو أن تندفع عودا إلى السيارة أو أى شيء إلا أن تخرج بهدوء ، وتقف بلا بحركة وتنظر إليه . وهذا ما فعلته . تسللت بهدوء غريب خارج الجوال ، ووقفت تنظر فى عينى مباشرة . لم أنتظر ما تفعل بعد ذلك . بسرعة عدت إلى السيارة ، واغلقت بابها ثم أدرتها إلى طريق العودة . حانت منى إلتفاتة إلى القطة ورأيتها تقف حيث هى بلا حراك ، فتابعنى بنظراتها .

حينما هدت أخبرنى البواب أن زوجتى إستقلت سيارتها ولم تعد حتى الآن . دخلت إلى منزلى ، وإستلقيت على الفراش متمسكة ونات . إستيقظت على صوت الباب الخارجى وهو ينفق ، وبعد لحظات وقعت زوجتى على باب الحجرة وهى تحمل بين

يديها القطة . كان الغضب مستوليا عليها حتى أنها لم تستطع الكلام . نظرت إليها مبهوتا وأنا أتساءل .

— كيف . . ؟ . كيف استطعت الإهتداء إليها بهذه السرعة ؟

لم تجب على سؤالى ، وخرجت من لها كلمات غاضبة متقطعة .

— ألم أحذرك ألا تحاول إبعاد قطق أو مسها ؟ لولا أننى أحبك لكنت الآن

في عداد الأموات . عليك أن تعذنى وهذا قاطعا ألا تحاول ذلك مرة ثانية .

لست أدرى لماذا تملكنى لأول مرة غضب شديد . غضب بارد مكتوم . ربما

كان هذا من أثر هزيمتى فى أن أخلص من القطة اللعينة . بهدوء يخفى وراءه ناراً

متأججة تضاءلت

— وإذا لم فعل ؟

توسلت زوجتى مبتهلة

— أرجوك ليس لك خيار فى الأمر

إزداد إصرارى فكررت السؤال

— وإذا لم أفعل ؟

إجابتنى ونبرات الأسف فى صوتها

.. لست أدرى ماذا سوف تكون العاقبة ، لكن المقطوع به أن هذا سيكون

نهاية علاقتنا .

— أفضلين قطة على زوجك ؟

هزت رأسها وقالت بآس مرير .

- أنت لا تفهم . . ليس لى أنا أيضا خيار فى الأمر .

سمعت نفسى أضحك . ضحكك رغما عنى أسى . ما هذا الضحك ؟ كيف يتمنى

أن تكون هناك مفاضة عند روجتى بنى وبين قطة ؟ إن مجرد التفكير فى الموضوع

يبدو لى سخيفا .

— دعيني أضع الأمور في نصابها . إننى لا أقبل أن يفاضل أحد بينى وبين
قطعة ، ناهيك بزوجى . تقولين أن ليس لك خيار فى الأمر ، وأنا أقول إن
لك الخيار . لك أن تختارى بينى وبينها ، فلن أقبل أن أبيت ليلة واحدة وهى
فى المنزل .

اسمعى . . إذا كان هنالك خطر لا أعرفه صارحينى ؟ وسوف نجابهه سويا ،
ونتغلب عليه .

تفوهت بالجملة الأخيرة برقة عسى أن تؤثر فيها ، لكن وجهها كان قد إكتسب
قناعا من الصرامة ، وتركزت عيناها على لا تتحركان ولا تطرفان . كعبى المرة .
بصوت عريب على تسكنت وجاءت أقوالها تهديدا ووعيدا .

— إننى أنذرك . لا تضطرنى إلى المفاضلة ، وإلا فإننى سوف اختارها .

— إذا فلا بقاء لى فى المنزل .

— إن خرجت زالت حمايتى عنك .

— ما معنى هذا ؟

— معناه أنك لن تر امرأة غيرى . إننى أهواك وما دمت سوف تباعد عنى
فلن تنالك أخرى .

كان هذا أكثر مما أحتمل . أسرعرت أجمع ملابسى فى حقيبة . هنا هجمت على
القطعة . كنت منعنيا أفلق الحقيبة حينما ففرت على ظهرى ، وأنشبت مخالبها فى
رقبى . لم يكن لدى شك فى أنها كانت سوف تنرز أنيابها ، وربما كان فى ذلك
القضاء على ، لكن صوت زوجى أوقفها . إذا كان عندى بعض من التردد قبل
ذلك فى ترك الشقة ، فقد حسمت هذه الحادثة الأمر .

توجهت إلى مسكنى القديم ، ولم تسألنى والدنى عن سبب قدومى ، وأسرعرت
باعداد خرفتى . كان هذا منذ أكثر من شهر . فى خلاله تعرضت أكثر من ستة
مرات لما تعرضت له أمامكم الآن . حدث مرة وأنا نائم ، ولولا أننى أسرعرت

ياخفاء وجهي في الوسادة لئلا تلمعونة مبتغاها . وحدث مرة في مكتبي حينما تأخرت يوما في المساء لقضاء بعض أعمالي العاجلة . لا يوجد مكان أذهب إليه إلا وتلاحقني القطعة . في الأسبوع الماضي كنت في المنصورة لقضاء بعض الأعمال وهاجمتني في غرفتي بالفندق .

كان المواء يسبق هجومها دائما ، مما يهبطني لإنذارا كافيا ، ولو أنه أيضا يحطم أعصابي حتى أبقى أفقر لجرد سماحي مواء أية قطة . إنني أفكر أحيانا في أن زوجتي تعتمد هذا الإنذار ، ربما لتعظم أعصابي ثم تنفذ وعيدها ، وربما لأنها تريد أن تضطرنني إلى العودة صاعرا إليها ، وربما لأسباب أخرى لا أعرفها . وأخشى ما أخشاه أن توقف الإنذار وتهاجمني القطة .

انتهى من سرد قصته ، وليتنا فترة صامتتين . أخيرا قال صديقي .

— هذه القطة يجب أن تموت . اسمع هل تركها زوجتك أحيانا في الشقة بمفردها ؟

— أجل . بعد انفصالنا نذهب كل يوم إلى النادي لتناول طعام الغداء .

— هذا حسن . هل لا زال معك مفتاح الشقة ؟

— طبعاً .

— إذا تغير قلب عاجله . ما رأيك في أن نتقابل عندي هنا ظهر الغد ثم نذهب ثلاثتنا إلى الشقة ؟

التفت إلى ناحيتي مستهما ، فأجبت بالإيجاب ، وأضفت أنه ربما يكون الأفضل أن نقضي الليلة ، نحن الثلاثة ، في شقة صديقنا المشترك . ووافقا . لم يحدث شيء في المساء . وحينما حل الصباح اتصل كل منا بعمله يعتذر عن الذهاب ، وقضينا الساعات الباقية في الإعداد .

اشترينا جوالا متينا ، ووضعنا به بعض الحجارة الثقيلة ثم وضعناه في الصندوق الخلفي للسيارة صديقي . لم يكن أحدهما يرغب في قتل القطة بالرغم مما سمعنا . ومع هذا فكان من الواضح أن لاجل آخر للمشكلة ، لهذا فضلنا أن نموت غرقا .

قبيل الظهر أوكلوا إلى أن أرقب خروج الزوجة حيث أنها لا تعرفني ، وأعطاني الشاب رقم سيارتها ، ووصفها ، وأوقفنا سيارتهما في أحد الشوارع الجانبية . حتى لا يحدث خطأ ذهبت إلى جراج للنزل مدعياً أن إعلاناً نشر في الجرائد عن بيع سيارة بالجراج وأنتى أرقب في شرائها .

رأيت سيارة الزوجة ، وتأكدت من رقمها ، ووقفت أسأل السائق عن السيارة للزهومة للعروسة لليبيع . أنكر الرجل معرفته بالموضوع ، لكنه إستم رأيت العملة فراح يحدثني عن سيارات يعلم أن أصحابها يودون بيعها . أثناء حديثنا دخلت سيدة وانجحت إلى السيارة . كان يمكن أن أعرلها حق لو لم يكن وصف الشاب لها وصفا دقيقا . على قدر جمالها كان فيها شيء غير عادي بنظر للراء منها . كانت تسير بحلة مقناهية ، لبس كاتسير السيدات ، وإنما كانت تملل الحرة .

تركني السائق وهرع إليها ينظف السيارة ، وبعد لحظات انطلقت خارجة . حينما عاد سألتها عما ، زيادة في الحيلة ، مدعياً أنني أهدبت بسيارتها ، وتأكدت بصفة قاطعة أنها هي . لم يبق هنالك داع لبقائي ، فترك الرجل وهو ما يزال يذكر لي أنواع السيارات التي يظن أن ملاكها مستعدون لبيعها .

هرعت إلى صديق والشاب ، وعدنا ثلاثتنا إلى المنزل وأوقفنا السيارة عند الباب . سعدنا إلى مسكن الشاب ، وفتح الباب ثم أغلقه وراءنا . كانت الشقة متوسطة الحجم تتكون من أربع حجرات وصالة ، وكان من الجلي أن صاحبها لا تمنى كثيراً بنظافتها . لم نر القطة ، وافترقنا نبحث في الحجرات .

كنت أبحث في حجرة الطعام حينما ارتفع صوت مواء ، ثم زمجرة قتال ، وصرخة الشاب . اندفعت ، واندفع صديقي إلى حيث الصوت . كان صادرا من غرفة النوم . حينما دخلنا فاجأنا منظر مريع . كانت القطة تقاتل بوحشية الشاب الذي يحاول أن يقبض عليها ، وقد سالت الدماء من يديه بصورة بشعة .

ما أن دخلنا حتى أغلقت باب الحجرة . رأينا القطة تقفزت فوق دولاب الملابس . أسرعنا خارجا ، وأحضرت الجوال ، وحينما عدت كانت بدا صديقي مخضبطين

بالدماء . استغرق الأمر عشرة دقائق حتى استطعنا ادخال القطة في الجوال .
كان قتالا حقيقيا لم يسلم احدها فيه من هالبا ، وأنيابها ، كالم يسلم أنثا الحجره
من آثاره .

احتملنا الجوال ولم تمض نصف ساعة حتى وصلنا بالسيارة إلى مسكن مهجور
من النيل ، وألقيناه وبداخله القطة لللعونة ، ثم عدنا . في طريقنا إلى العوده ،
بالرغم مما قاساه الشاب ، كانت حاله أهدأ . شكرنا على ما فعلناه ، وحينئذ سأله صديقي
عن خطواته التالية أخبرنا أنه سيمود إلى داره ويحاول الصلح مع زوجته . قال :

— اننى أحبها ، وهى تحبني . وأعتقد أنها ان غضبت لموت القطة لمعوف
وبزول هذا مع الزمن ، ولن نذكره الا ككابوس انقضى .

وصلت السيارة إلى منزله ، وهبط منها ، وقبل أن نودعه هرع إلى البواب .
سمعناه يلبثه أنه مطلوب على عجل في النادي . أشار إليه صديقي ولما داف في السيارة
انطلقنا ، حينما وصلنا استقبلنا رجل في حوالى الاربعين لهمت من حديثه أنه صديق
للعائلة . وأنه طبيب . قال .

— عليك أن تتحمل الصدمة يا صديقي بشجاعة إنها زوجتك . لقد ماتت .

— ماذا ؟ كيف ؟

بانت الحيرة على وجه الطبيب

— الواقع أن ما حدث شيء غريب . كنت جالسا مع بعض أصدقائي فنناول
وجبة الغذاء ، حينما لاحظت أن زوجتك ، وكانت تجلس إلى مائدة قريبة ، تصارع
الهواء كأنما هى تقايل أشخاصا . حسبت أنها قد فاجأتها نوبة صرع ، أو ما شابه ،
فأسرعت إليها لسكرها أنشبت أظافرها في يدي ، وكادت تمتد إلى وجهي ، وعيني
إلا أنني تفاديتها . حاولت أن أهدئها فلم أستطع . صدقنى أن الأمر استغرق مجهود
ثلاثة منا حتى تمسكنا به لا أقل من عشرة دقائق من التملب عليها ، ولم يسلم واحد
مننا من الخدوش . هذأت فجأة فحملناها ، ورضناها على الاركة في إحدى

الحجرات الداخلية . كان تنفسها ثقيلًا كمن هو حبس في مكان ضيق لا يستطيع فيه التنفس على حريته . حاولت إسماعها إلا أن مجهوداتي ذهبت هباء . بعد نصف ساعة كانت تضرب ثانية في الهواء . لكن ليس كمثل ما حدث في المرة الأولى . كيف أصف . لم تكن تقاوم أشخاصا ، وإنما كانت كمن يحتنق ، ويقاوم في سبيل الحياة يريد التنفس . أحدثت تضرب في الهواء يديها ، وقدميها ، وتحاول أن تنفس ولو أنه بدا عليها أنها بتتلع ماء ، ولا تستنشق هواء . أنا أعرف أن كلامي لا معنى له بالنسبة لك ، لكن هذا ما رآته عيناى . صدرت منها حشرات ، ليس كمثل البشر ، لكنها أقرب إلى القطط ، ثم ماتت . كشفت عليها لانا كد من موعها ، وثنا كدت . إنما ما يحيرنى هو أننى لا أشك في أنها ماتت غرقا . جميع الاعراض قاطعة ، ولا شك عندي في هذا ، ومع هذا كيف أكتب هذا في تقريرى ذلك وقد ماتت في الحجرة على الأريكة .

تبادلنا نحن الثلاثة النظرات . كانت الدموع تنساب من عيني الشاب ، وهرفنا نحن الإثنين ما يدور في تفكيره . هل فتلنا زوجته ؟



كنت أظن أن القصة إنتهت عند هذا الحد ، فالقطعة ماتت ، وزوجته توفيت ، إلا أنه لم تمض أيام على الحوادث المأسوية حتى إستدعى صديقى . حينما ذهبت رأيت الشاب جالسا في حجرة الإستقبال ، وبدأ لى أنه كان يبكي .

بعد أن تبادلنا الكلمات المناسبة قدم إلى للشاب عدة أوراق ، وقال والدموع تفرق في عينيه .

أعتقد أن من حقا أن تقرأ هذا . هو خطاب موجه لى ، كتبته زوجى ، عثرت عليه ضمن حبياتها . سوف تلاحظ أنها بدأتها قائلة زوجى الحبيب ، ولست أعتقد أن حبا في العالم يفوق حبا . هلا قرأته . ١٩... قرأت .

« عندما تقرأ هذا لن أكون معك ، لقد رتبت الأمور بحيث لا يكون لديك سوى أحد اثنتين . إما أن تعود لتعيش معي مسلما بوجود القطعة ، وإما أن تقتلها . أنا أعلم طبيعتك ، وأعلم ماذا سوف تختار . سوف تقتلها إعتقادا منك بهذا أناس سوف تعيش سماء ، غير أنني سوف أموت . والواقع لو أن الشجاعة وانتق لقتلتها بنفسى أو انتصرت . لقد راودتنى هذه الفكرة كثيرا ، إلا أننى كنت دائما أجهن من أن أتخذها ، فأوجها آلمة أن تحدث معجزة .

سأروى لك قصتى حتى تفهم ، وربما تصفح عندما تتبين كم أحبك ، وربما تستغفر لى ربى فلست أجرو حتى طي طلب المفومنه . لن أمتذر عن الحوادث ، وسأقصها عليك كما هي غير مزيطة سوى أحاسيسى ، ومشاعرى .

لست أحسب أن كثيرات لا قين ما تمتعت به وأنا صغيرة من حب وعطف . أنت تعلم أننى وحيدة والداى ، وتعلم ماها عليه من رقة وطيبة قلب . منعانى كل ما يستطيعان من حب ، وأحاطانى بسياج ضخم من الحنو . لم يكونا يشمران بأن لى رغبة إلا لبيهاها ، كثيرا قبل أن أطلب .

سارت الأمور على هذا النوال حتى بلغت السادسة عشرة . أنا بطبيعتى غير ميالة إلى الإحتلاط ، وكانت النتيجة أن أضحت القراءة هوايتى . كثيرا ما جاءنى والدى فى الساعات الأخيرة من الليل يطلب منى أن أمام . قرأت أصناف ما تقرأ البنات فى سننى . سواء فى الأدب ، أو القصص ، أو التاريخ ، أو غير ذلك . كنت آخذ النقود من والدى لأذهب إلى المكتبات الصغيرة أشتري منها الكتب المستعملة .

فى إحدى هذه المكتبات قابلتها . سيدة رائدة الجمال فى أوائل العقد الرابع من عمرها . كانت تطلب فى الكتب القديمة التى علاها التراب . لم تكن الكتب مصفوفة بنظام أو طبقا لفهارس ، بل إن أغلبها لم يكن فى موضعه ، ومع أن السيدة كانت شديدة الأناقة إلا أنها بدت غير مهتمة بما يصيب ملابسها من غبار أو أقدار . كان هذا شيئا غريبا إن دل على شيء فأنما على حياء الشديد للقراءة .

نحادثنا . سألتني عن نفسي وعائلي ، وسألتها . أخبرتني أنها أرمل توفي عنها زوجها ، وأنها تعيش بمفردها لا أهل لها ولا ولد ، وأنها قصرت حياتها على القراءة . دعيت لزيارتها فأتته إن عندها مكتبة ضخمة فاعتذرت لضيق الوقت ، وبأن والداي قد يلتابهما القلق . حتى لا أطيل عليك تقابلنا صعدة بعد ذلك عدة مرات ، وإن كنت أشك الآن أن الصدة لم تكن مشغولة ، وأن السيدة كانت ترقب خطواتي ، وتدير المصدف .

أخيراً ذهبت إليها في منزلها . كانت تقطن في شقة واسعة أنيقة تطل على النيل ، دهشت لإساعها إذ أنها كما قالت تقطن فيها بمفردها . رأيت مكتبتها ، والواقع أنها لم تبالي حيناً قررت أن لديها مكتبة ضخمة . كطفل صغير رحت أعبث فيها ، وأقلب الكتب . لاحظت أن معظمها مؤلفات عن السحر ، ووسائله ، وبعضها عن الكيمياء ، كما أن الكثير كان طبعات قديمة ، بل وفيها مخطوطات .

سمحت لي أن أستعير بعض الكتب . . بل إنها في الواقع عرضت علي هذا ، فأنتهزت الفرصة وأخذت كتاباً عن وسائل تحضير الجان فإنه كما ترى موضوع شيق يستهوي الالباب خاصة بالنسبة لفتاة صغيرة . إلتهمت الكتاب إلتهاماً وكان من البدهي ألا أستطيع إستيعاب ما فيه ، وإضطرت أن أسألها أن تشرح لي ماغضى ، فكانت تجيب بسمة صدر .

لم يمض وقت طويل حتى إنقلبت موازين حياتي . إستحوذ السحر ، وسائر القوى الخفية ، أرما يسونه العلم القديم ، على كل تفكيرى وأحاسيسى . طالما تصورت نفسي وقد حظيت بقوة خارقة أستطيع بها أن أفعل ما أشاء ، بل أستطيع أن أخضع الناس لإرادتي ، وأغير مصائرهم . كان هذا التصور يدفعني إلى المزيد من القراءة حتى أتى الوقت الذي لم أعد أكتفي فيه بالناحية النظرية ، وأردت للممارسة الفعلية .

سألت السيدة أكرر من مرة إن كانت تمارس السحر ، وكانت دائماً تتفادى الإجابة مما جعلني أزداد تلهفاً . أخيراً جاء اليوم الذي أخبرتني فيه إعترافها السفر

في غدة ، وأنها سوف تنفب في الخارج لبضعة أشهر للعلاج . لم أستطع صبرا ،
وطالبتهما أن تجرى معى تجربة عملية واحدة قبل سفرها . أظهرت تمنا في مبدأ
الامر ، ثم عادت ووافقت بعد أن ألقت عليها ، بل وقررت أن للوعد مناسب
لحسن الحظ . إستفهمت منها عن التجربة فأجابت بأنها ستؤدى معى تجربة بسيطة
نظرا لأننى لارلت جاهلة في السحر ، ولأنها تشر أنها تحببى كابنتها وسوف تربط
روحها بروحى ، وحينما تعود من الخارج سوف تملئنى الوسائل العليا التى أستطيع
بها أن أفعل ما أشاء .

لم أفهم تماما ما تعنى لكننى كنت متهممة على التجربة ، وخشيت إن أنا ألقت
في الإستفسار أن ترفض إحراءها فوافقت . صبحتنى إلى حجرة لم أكن رأيتها من
قبل ، وفتحت الباب بفتح كان معها . فجأة شمعت كأن تيارا باردا إلثف حولى .
لم يكن تيارا هوائيا ، وإنما مجرد برودة قارسة إحتوتنى كأنما وضعت مجة فى حمام
من الثلج ، وامتلأ أنى برائحة عطنة ذكرتنى برائحة القبور . لشوان بنشأبى الرهب
وودت أن أفر ، أن أبتعد عن الحجرة ، وعن المنزل ، وللراة .

ربما كنت سأفعل هذا لولا أنى شمعت بيدها تقبض على ذراعى ، وتقودنى
إلى الداخل ، وتلق الباب وراءنا . كان الظلام حالكا لم أتبين فيه شيئا ، فوقفت
مرتبكة لا أستطيع أن أنحرك . إرداد هلمى حينما أحسست بأن المرأة تركت
ذراعى ، وإخفت وسط الظلام . إعتدت البرودة حتى أن أسلافى أخذت تصطك
وإزدادت الرائحة الكريهة حتى خيل إلى إننى دفنت حية فى قبر .

وقفت أرتعد فى الظلام . لم يكن هنالك صوت ، أى صوت ، حتى وقع
خطوات السيدة لم اسمعه ، إن كانت قد تحركت . أردت ان اصرخ مستنجدة ،
وانحبس الصوت فى حنجرتى . على الرغم من الرطوبة والبرد المحيطين بى ، شمعت
بأن حلقى قد جب ، وتصيب عرق الرعب على جبينى . لعل لم امكث سوى ثوان
معدودات ، ومع هذا فإنه خيل إلى انها دهر كامل . ظننت اننى رأيت عينين

تلكمات في الظلام . عيني هرة ، لكن ربما كان هذا محض خيال .
 فجأة إنقذت اربع شمعات في اركان الحجر الأربعة ، كما إشتعلت نار في
 وسطها . لست ادرى كيف اصب هذا . لم ار عود ثقاب يشتعل ، ولا حتى سمعت
 صوتا لإشتعاله ، او لإشتعال ولاعة . كانت الحجر في ظلام دامس ، واضيئت
 الشموع كما إنقت النيران في لحظة واحدة . هنا ندت منى صرخة مكتومة ،
 وتراجعت دون إرادة حتى إرتمطت بالباب ورأى . شمعت بيد السيدة توضع على
 ذراعى ، فالتفت وجلة وقد تسمت حدقتاى ، كانت تبتسم لى مشجعة ، وهمت
 — لا تخافى ، إنك طلبت ان ترى تجربة عملية و اردت ان تتعلمى ، واول
 درس لك ان تتعلمى ضبط احساسك ، والسيطرة على مشاعرك .

زكرت لى الوقت الكافى لىكى انمكن من اسرداد رباطة جأشى ، واعتاد على
 ما حولى ، والواقع ان رؤيتها ، وسماع صوتها ، ضيعا الكثير من الرعب الذى
 إنتابنى قبلا . سألتها استأنس لسماع صوتى .

— كيف إنقذت الشموع ، والنيران معا وانت على ما يبسدو لم تتحركى

من جوارى ؟

إتسمت إبتسامتها

— هذه حيلة بسيطة سوف تتعلمينها ، وأعظم منها حينما اعود من رحلتى .
 ادرت النظر إلى الحجر الخفس محتوياتها . كانت حجره واسمة اقرب إلى
 الصلاة . لم أر لها نافذة ، أو بابا آخر غير الذى دخلنا منه . أرضها بلاط كبير عليه
 رسومات غريبة لم أعرف بعضها ، لكننى قبيئت البهض الآخر . كانت هناك دائرة
 هرمس المسحرية بالبروج السبعة ، ومثلث سليمان السداسى ، وصورة لبعازبوب ،
 وإسمودبوس ، وايزيس . أخريات لشعابين ، وكتابات ربما كانت هيروغليفية ،
 ورموز أخرى ، منها عنخ رمز الحياة ، والكا القرين ، وغيرها .

كانت جدران الحجر حمراء قانية ، فى لون الدم ، ولم استطع ان اتبين حبه

لون سقفها ، وإن كنت أعتقد بأنه كلون الجدران . كانت عارية من الأثاث ليس
فيها سوى أربعة حوامل على هيئة الثعابين ، يحمل كل منها شجرة ، وفي وسط صدر
الحجرة إرتفع تمثال تلهب النار تحته في صاع كبير من الحديد .

انتصب التمثال ضخماً بالنسبة لحجم الحجرة ، مربعاً في صمته ، شيطانياً في نظرة
الشعر المرسمة على عينيهِ . تحققت منه بمجرد أن وقفت عليه عيناى ، أطلقوا عليه
أسماء متعددة فهو طورالوسيفر ، وأخرى بان ، وثالثة بلمال ، هوزاكا ،
وداحون ، وحيديه ، وجموث ، وعزازل ، ومولوخ ، وعشرات غيرها . هو ملك
الظلام ، جسد الإنسان ورأس التيس بقرنيه المرتفعين ، وأذنيه للدلائين ، وحاجبيه
للتقابلين ، وهيئه الشريرتين . كانت النيران المشتعلة تحته تلتقي عليه ظلالة متحركة
تلهب جمود التمثال نوعاً مربعاً من الحياة .

تركنتى السيدة دقائق قليلة أستوعب الحجرة ، وأصبع فضولى ، ثم قادتنى من
ذراعى حتى وقفنا ، نحن الإثنين ، وسط دائرة هرمس السحرية على بعد لا يزيد
على نصف متر من النيران . ركمت ولم تترك ذراعى واضطرت إلى الركوع إلى
جوارها . بدأت تتمم بكلمات غريبة ، ثم مدت يدها لتضع بعض أنواع المطارة
في النيران .

إرتفع في الحجرة دخان غريب متعدد الألوان ووصلت أنفى تلك الرائحة
السكرية التي شممتها لحظة أن فتح باب الحجرة لكن هذه كانت أقوى عشرات
الرات . لم تتوقف السيدة لحظة عن التمتعة غير المفهومة ، لكنها أخذت طابع
الترنيم ، وارتفع الصوت شيئاً فشيئاً حتى أضحى تنمات رتيباً . وفهمت . كانت تعبد
لملك الظلام . أردت أن أقوم فلم أستطع . أحسست بأن شيئاً ما يقيد ركبتاى
إلى الأرض .

تكاثف الدخان حتى ملاً حو الحجرة ، وداخلنى دوار خفيف كما بدأت
عيناى تدمعان . شعرت بأننى أفقد وعيى بيطه ، وأفقد معه إحساسى بالمكان ،
والزمان . حتى حسدى خيل إلى أنه يحسّر من جاذبية الأرض وأنه ابتداءً يطوف

مع الدخان الكثيف . شيء غريب لا حظته رغم ما أنا فيه . بالرغم من كثافة الدخان فإنه لم يخف وجه التمثال .بقى هذا ظاهراً شريراً مهدداً ، من مكان ما ظهرت بدا السيدة تقبض إحداها على ديك أسود اللون ، لا تشوبه شائبة ، ويلتصق في الأخرى نصل حاد لسكين .

تعالى صراح الهيك بمخناط مع أصوات الترنيم المستمر . رأيت محاول الإنفلات لكن السلاح الحاد مر على رقبة ليفصلها تماماً عن الجسد . قفز الجسد بلا رأس يرقص رقصات الموت . رفرفت الأجنحة في الهواء وتناثرت الدماء معها في كل مكان أخيراً إنتهت الحركة وأختفى الجسد ، وسط سحب الدخان ، وارتفع صوت الترنيم بهم أذن .

من وسط الدخان إرتفعت السنة الدخان . لم تكن تلك النار المحصورة في الوعاء ، وإنما كانت نيراناً مطلقة تتطاوّل الستنها في كل مكان أمامي ، وحولى . حاولت ان اصرخ ، او افر ، إلا اننى لم استطع . خيل إلى ان سحب الدخان تدخل من انفى لتختلط بعقلى ، وتم نظرى . لم اعد ارى سوى السنة النيران حولى وعلى ضوئها رأيت السيدة إلى جوارى تكاد النيران أن تلتهما وسط النيران ظل وجه الشيطان بارزاً ، مسيطراً ، مهدداً .

لـ يتوقف الترنيم طوال هذا الوقت ، وأحسبني سمعت إسمى يذكر ، وربما أيضاً إسم والدتى إلا أننى لست واثقة . لعل السيدة كانت توجه سؤالاً إن هذا الاتحاد الروحى تم برصائى ، ولعل أحسيت رأسى موافقة . الواقع أننى غير متأكدة من هذه الوقائع لأننى غبت بعدها عن وعي .

حينما أفت كنت نائمة على فراشى في حجرتى ، وولداى إلى جوارى ينظران إلى بقالى زائد . لست أدري ما حدث ، ولا كيف وصلت إلى النزل ، او دخلت حجرتى ، وإن كادت والدتى قد أخبرنى بأننى سرت كنى في حلم ، وإنجمرت من نورى إلى فراشى دون ان ارد على تساؤلها بكامة ، وكأننى لم اسمعها . أخبرتنى اننى إستغرت في نوم عميق لم استيقظ منه إلا بعد ان دار عقرب الساعة دورة كامئة .

سألني والداي أين كنت ، وماذا حدث ، فأخبرتهما أنني كنت في زيارة لإحدى صديقاتي ، وأني شمرت بوعكة وإعياء فإسطحيتني إلى هنا ، وأن حمى مفاجئة إلتابتنى فلم أستطع أن أحيب على والدي . طمأنتما على حالي حينما أرادا استدعاء طبيب ، وأخبرتهما إنني في تحسن مستمر ولا داعي للقلق .

في اليوم التالي أبلت ، ورأى كل امرئ لضعفى السابق . فيه أيضا جاءت الحرة إلى منزلنا ، وإتقلت حياتي رأسا على عقب . لم أدر كيف دخلت الشقة ، ولا كيف إنجعت لي كأنما تألفني منذ مدة . أرادت والدي أن تخرجها إلا أنني عارضة ، وإبسم والدي راجيا الوالدة أن تسمح لي بإبقائها على أن أتمهدا بالنظافة ، ووافقت . إنجعت إليه اللطلة وكأنما قد فهمت دواعه عنها ، وتمسكت فيه .

مضى يومان دون حادث يذكر . في اليوم الثالث إتصل بي أحد المهامين تليفونيا ورجاني أن أذهب لمقابلتها في مكتبه . سألتها عن السبب فأوضح أن السيدة توليت تاركة وصية ، وأنه يعلم أنها وصت بممتلكاتها جميعا لي . صحبتني والدي ، وعند الهامى تبقت مما قاله . كانت السيدة ، ثرية إلى حد مذهل ، وقد اوصت بجميع ممتلكاتها بما فيها الشقة لي .

تركزت تدبير الأمور بين يدي والدي ، والهامى ، وإعترطت شرطا واحدا هو انهما لا يمانا الشقة ، التي كانت مملوكة للسيدة ، إلا بعد ان انقل المكتب الى حجرة اختصاصها لنفسى ، ولهما بعد ذلك ان يؤجراها مفروشة كما اتفقا .

أراد والدي ان يرسل معي من يساعدني في نقل المكتب الى الحجرة التي انتقيتها لكننى رفضت محتجة بأن هناك ناحية عاطفية أود ان أقوم بها بنفسى . ذهبت الى الدقة ولم أجد هناك فى الثور على مفتاح الحجرة وكأنما كنت انا والدي ضبأته فى مكانه الأمين . حينما ذهبت الى باب الحجرة لم أجده ، ووجدت انه قد اقيم حائط مكانه . تعجبت من الامر ، وانجعت الى المكتبة وانا افكر اين اضع كتب السحر ، ومخططاته ، ولم أجدها كذلك . كانت هنالك كتب كثيرة ، لكن

لا أثر لكتب السحر . حزنت لذلك إذ اتنى كنت أتلّف على التعمق في القراءة ، والإطلاع ، ثم ما لبثت أن طرحت الأمر جانبا .

تولّت الأيام ، وازددت حبا للقطعة وتفاهما معها . كانت بشكل ما تفهم كل رغباتي وأحاسيسي ، كما كانت تنقل إلى رغباتها ، ومشاعرها . عزوت هذا في مبدأ الأمر إلى الألفة القريبة التي تربط بين الإنسان والحيوان أحيانا ، ثم جاء الوقت الذي استبهدت فيه هذه الفكرة لتحل محلها أخرى أبعد تصديقا ، وأعمق أثرا .

كان لدينا خادم يبدو أنه لسبب أو آخر لا يحب القطعة . بينما أنا استذكر دروسي في حجرتي شمعت فجأة بألم حاد في جانبي الأيمن كأن أحدا قد ركنني . أطلقت صرخة مكتومة .

وفي اللحظة التالية سمعت زججرة القطعة في المطبخ . وصراخ الخادم ، بالرغم مما أعانيه من ألم ، هزعت ، وأسرع ممي والداي . هنا رأينا منظرا مروعا . كانت القطعة قد مزقت قدمي الخادم ، ويديه . كانت ما تزال تقفز محاولة أن تصل إلى وجهه أو رقبته ، وكان يدفعها عنه وهو يصرخ .

أسرع والدي ليقبض عليها ويمنعها عن الخادم للسكين إلا أنها أنشبت أنيابها في يديه مما اضطره أن يلقبها بعيدا . حاولت هجومها على الخادم ولم ينقذه سوى تدخلني . أخذتها بين يدي فاستكانت ، وحملتني إلى حجرتي تاركة والدي ، والخادم لرعاية والدي . إندهشت إذ شمعت بالألم في أجزاء متعددة من جسمي وكأنني خضت معركة .

بعد دقائق استدعاني والدي ، وحينما ذهبت رأيت أن يده ، قد ضمدت . كان يجلس مع والدي صامتين . أشار إلى مقعد خلفت . قال إنه يخشى أن القطعة قد مسها سم ، وأنه يجب التخلص منها . رجوته باكية أن يبقى عليها واعدته أنها لن تعود لي ذلك ، ورفض بإصرار . قطعت والدي الحديث فجأة تسأل .

لم أدر ماذا تفعل . كنت أشعر بأن في صدغي الأيمن لسكنف لم أنبئه إلى أن هنالك أي أثر ظاهر . سألت

— ماذا به ؟

— إن في صدغك الأيمن أثر كدمة

— ربما أكون قد صدمت في شيء وأنا أجرى إلى الطبخ .

لم يبد عليها أنها إقمت ، لكنها لم تنصب في السؤال . وعاد والدي يؤكد ضرورة التخلص من الحرة . توسلت إليه قائلة إن الخادم هو الذي بدأ بإيذائها إذ ركلها في جنبها ، وسألني والدي كيف عرفت هذا . إحتقت في الإجابة ومع ذلك كنت واثقة من صدق قولي ، وإن لم أدر كيف عرفت . حينئذ لم أجب رجوع والدي إلى إصراره . فجأة وحدثت نفسي أخاطبه بلهجة لم أخاطبه بها مطلقا . لم أهد تلك الفتاة الودعية الطبيعية التي ألفاها بل ، والتي ألفتها أنا في نفسي ، وإنما أصبحت فتاة واثقة من نفسها أقرب ما تكون لهجتها إلى التهديد .

— إن القطة أن تبرح المنزل ، وإلا ذهبت معها .

حتى الصوت لم يكن صوتي . ففرت والذني فيها ، ونظر إلى والدي مشدوها . في ثانية ضاعت . منهما السبعة عشر عاما التي إعتليا فيها برابقي ، ولفزت إلى الوجود فتاة غريبة عنهما تماما . ثمالك والدي نفسه بسرعة وقال بنؤده متمدة :

— تذكرى أنك قاصرة تحت وصايي ، ولأمال لك إلا في حدود

ما أسمح به .

باللهجة نفسها جاء ردي مقتضيا .

— لم أفكر في المال

بدت الحيرة على وجهي

— كل هذا من أجل قطة ؟

— أجل

أنهيت المناقشة ، وتركتهما لحيرتهما . كان جزء منى يصرخ فى أحماسى أن
أهوى لأركع تحت أقدامهما واعتذر ، وجزء آخر يدفعنى إلى حجرتى فى الله ،
وكبرياء ، وإصرار .

فى اليوم التالى كنت فى المدرسة حينما أحسست أننى أود أن أفر من شىء
يطاردنى ثم صرخت إثر شعورى بضربة هوت على ظهرى . أعادونى إلى المنزل ،
واستدعى الطبيب الذى قرر غاضبا أن هنالك من ضربنى بمصا غليظة على ظهرى ،
وأنه لولا لطف الله لفضت سائر عمرى كسيحة . حينما خرج سألت والدى

— لماذا ؟ ... لماذا ضربت القطة ؟

صدق من السؤال . تراجع إلى الخلف كمن أصيب بطلعة ، ومضى ينظر
إلى بذهول .

— كيف ؟ .. كيف عرفت ؟

شيئا فشيئا كمن يفيق من حلم بدأ يدرك الحقيقة ، أو جزءا منها . حاول أن
يستجوبنى ولم أشف له غيلا إذ أننى ، حق تلك اللحظة ، لم أكن قد علمت الحقيقة
كاملة . كل ما كنت أعرفه أن هناك ارتباطا غريبا بينى وبين القطة ، ما يصيبها
يصيبنى ، وما يصيبنى يصيبها . هناك رباط يضمننا نحن الثلاثة ، السيدة ، والقطة ،
وأنا .

ماتت السيدة ، وبقيت القطة وأنا . أم هل ماتت السيدة ؟

دفعنى هذا السؤال إلى التعمق فى التفكير فيه . مضت ليالى كثيرة وأنا أفكر
لكن كان هنالك دائما شىء يطمس عقلى فلا أصل إلى نتيجة حاسمة . فى هذه
الانثناء إحتزت إمتحان الثانوية بتفوق ، ورفضت أن التحق بالجامعة رغما عن
إلحاح والداى . كنت أرى أن العلوم التى تدرس ما هى إلا بحث أطلال لا يجوز
لى أن أضيع فيها وقتى . ما قيمة هذه العلوم إذا ما قورنت بعلوم الأقدمين ، والدين
القديم ؟

تكررت حوادث القطة بعد هذا حتى أصبحت رعبا يسيطر على المنزل . لن
أذكر لك منها سوى حادثة واحدة لها دلالتها . بعد بضعة أيام من واقعة الضرب ،
كنت مستلقية على فراشي اقرأ ، وإلى جاني رقدت القطة . فجأة هبت واقفة ،
تقوس ظهرها ، ووقف شعرها وصدر منها صرخ غضب .

قفزت القطة من الفراش وتسللت خارجة من الحجرة . نحيب الكتاب
جانبا وعيبتها . رأيتها تدخل حجرة الاستقبال لتلصص وراءها وشاهدها تتجه
رأسا إلى رجل يبدو أنه حضر الزيارة والذي . تمسحت فيه قليلا فوضع يده يربت
عليها . فجأة اشتعلت النار في يده ، ووقف يصرخ . أسرع إليه والذي بوسادة
لها حول اليد المشتعلة فإنطأ النار . وإن استمر الرجل يصرخ ألما . تركه والذي
ليحضر بعض الدهون ، وبمجرد أن رفع الوسادة عادت النار إلى الاشتعال وعاد
والذي بالوسادة .

صرخ الرجل قائلا إن هذا هو السحر الأكبر وأنه لن يستطيع أن يفعل شيئا .
استمر واضعا الوسادة على يده ، وجرى صارخا من المنزل وهو يتأوه . بتأوه
تحركت القطة ، وبهدوء ، وقفت عند الباب تنظر إلينا . حتى أنا كنت أنظر
إليها برعب .

إنطوى والذي بعد هذا على نفسيهما . ابتعدا عن القطة وعن . عاغا في
دارهما يسيطر عليهما الخوف ، وربما أيضا الخفة على ابنتهما التي قد اها حيه بينهما
أما أنا فلم يفارقني الرعب أبدا . لقد طلبت إجراء تجربة في السحر فبقيت دائما
تصاحبني لا أستطيع التخلص منها . لم أكن أدري ماذا يحدث داخل ، ولا إلى أين
يؤدي كل هذا ؟ متى ينتهي ، وكيف ؟

مرت سنوات . علم الله كم قاسيت فيها . كنت أشعر أن روحا أخرى تزاحم
روحي في جسدي تدفعه إلى جسد القطة . يبطل ، وإنما بثقة ، كان هذا يحدث .
تكررت أكثر من مرة أن اتحرر ، لكنني جهنت ، أو أطي الجزء الآخر من الروح

التي تراحمي هي التي دفنتني إلى أن أحيى حياتي مجزأة ، بين جسدي وروحي ،
وجسد القطة . وإنتهى بي اليأس إلى الإستسلام .

ثم ظهرت أنت . حينما مست يديك يدي أحسست للمرة الأولى أنني أكاد أن أنال
حريتي كانت روحي هي التي أحبتك ، أو بكل ما بقى فيها ، لست أدري . شعرت
أن تبارا سرى منك إلى ، تيار كله خير ، لا أثر فيه . يبدو أن الحب بين
روحينا ، فأخذت منك ، وأعطينتك . كانت الروحان أقوى حتى من البحر
الأكبر ، والخير أقوى من الشر . وهبتك كل ما فقدته من حب .
وهبتك حب الأم ، والاب ، والزوج .

إذا كنت قد عرفت في حياتي معنى السعادة الحقة ففي تلك الاوقات التي قضيتها
ممعك في النادي . واحسن والداي بالتغيير الذي طرأ . راودني الأمل ان أتخلص
من الشر الذي يلاحقني ، وراودهما الأمل . لآنك ان القطة أحمت بهذا أيضا
إذ لاحظت انها كفت عن مزاحمتي وهدأت نسبيا عن ذي قبل .

أنت تعرف الحوادث بعد هذا فلن أعيدها . لكنك لا تعلم كم أحبتك ،
وكم أعطيتني أنت من سعادة . حينما طلبت مني ان تزورنا مع والدتك في المنزل
طلبت منك مهلة إلى الأبد لم يكن هذا لأسأل والدتي في الواقع . كنت أظن فرحا ،
لكنني أردت ان أصفو إلى نفسي لأذن الأمور ، وأندر إن كان هناك ضرر
يمكن ان يلحقك .

قضيت الليلة اقلب الأفسكار . إن السيدة ، القطة ، في مركز قوى ، لكنني
انا أيضا في مركز قوى ، إن ما يصيبها بتهديد لها ان اتحرر يمكنني ان امنعها
من إيذاك ، وربما امسكتنا ان نعيش في سلام نسى . وجلال في عقل خاطران .
أحدهما أنني على قدر ما اود ان امنحك اطفالا فإنني لم أجروا خشية ان تحتل القطة
جسد الطفل وهو لم يزل في جسدي . لكن هذا يمكن تأجيله لفترة او اخرى
حتى ينجلي لي اللوقف تماما ، وربما حينئذ استطيع ان اشاركك الحياة
في جسد طفلنا .

كان الحاطر الثانى أبشع . ان السيدة أضحت روحا بلا جسد ، أو هى روح موزعة على جسدين ، القطة وأنا . هى لاشك تبغى أن تحتل كامل جسدى ، ترى هل علمت ذلك قبلا ؟ كم جسدا رحت قبل الآن ؟ كم فتاة ذهبت ضحية لها لتستعير منها جسدها ، وتطرد روحها ؟ نظريا يمكن أن يستمر هذا قرونا . وربما استمر عملا كذلك . لهذا أوصت لى بكل مالها ، حتى يمكنها أن تتمتع به بعد أن يسكن لها الإسديلا على جسدى . وجاء السؤال هل ستقبل أن تترك الحالة على ما هى عليه حتى يتقدم بى العمر ، وربما أموت ميتة طبيعية ؟ إن روحها الآن محصورة بينى وبين القطة ، ولن تستطيع أن تجد فريسة أخرى إلا بإجراءات سحرية جديدة ومعنى هذا أنها فهمت يجب أن تحتل جسدى كاملا ، إذا كانت تريد استمرار الحياة ؟

كاد هذا التذكير أن يثبط عزيمتى فى الزواج منك ، لكن الأمل القوى الذى منحنى حبك إياه ، هون من الأمر ، ودفعنى أن أرجو له حلا . فى تلك الليلة واجهت القطة متحدية لأول مرة . اندرتها بأن أى مساس بك سيدفعنى إلى إيذاء نفسى ، وبالتالي إيذاؤها . رقت تنظر إلى ، كان من الجلى أنها فهمت ، ومن الجلى لها أيضا أتى لأول مرة أعنى ما أقول .

رحب والداى بالنبا ، ولاشك أنهما فرحا بإد سوف يتخلصان منى ، ومن القطة . لكننى اعتقد أن فرحهما كان من أجلى أيضا بذراودهما الأمل أن انخلص من اللعنة التى أنصبت على . أراد والدى ان يصارحك بالموقف قائلا انه ليس من العدل أن تتزوجنى دون بينة من أمرى ، وارتعبت أن ترفض الزواج حينما تعلم . نهيته ان يفعل ، بل وهددته ، وصمت على مضض .

تزوجنا ، وعشت معك فى نعيم لم أحلم به ، أيام فى الجنة . انكسرت القطة فلم تمد تحاول ان تسكن الإسديلا على جسدى . بدا لى ان روحى تزداد قوة ، وان روح السيدة تتضاءل منسحبة إلى القطة ثانية ، وما دريت انها تنتظر . جئتنى يوما تقسكو من ذلك الموضع الذى وقفت فى سبيلك ، وقفزت القطة كأنما هى تمد يد المعونة .

لم أعلمكم أخطأت حتى رأيته تمود حزينا حينما علمت بهجوم القطة على الموظف .
إن قلبك مملء بالخير ، ولا ينبغي شرا لأحد ، حتى وإن كان في ذلك منفعة لك .

أمل شكوكك الحقيقية بدأت منذ ذلك الوقت ، وبدأت تربط الأشياء
بعضها . أردت أن تزور والداي ، ورفضت خشية أن يبوحا لك بالسِر . ومدت
القطة يد الممونة للمرة الثانية . حينما قابلت والداي فعلت الشك باليقين وعلمت أنا
أننى كنت أعيش في حلم . هنا صمتت على أن أنهى حياتى وحياة تلك التى
تستعير الأجساد .

وضعت خطى بحيث تسير ظاهرها رغبات الميدة . ربما كان وراؤها حكمة
اكتسبتها خلال قرون من حيوات مستعارة ، وربما كان وراؤها خبث شياطين
الأرض ، لكن ورائى كان حبك ، والرغبة فى إبعاد الأذى عنك ، ولم أشك لحظة
أننى سوف أنقلب عليها . لم أكن فى هذه المرة أدافع عن نفسى فحسب ، وإنما
كنت أدافع عنك ، وعن سمادتك .

دبرت الأمر بحيث انفصل ، وانفصلنا . أرادت أن تقتلك لتتخلص منك نهائيا ،
وأندرتها ألا تؤذيك وإنما تحطم أمصابك فقط حتى تمود ، كان هذا فى رأيها
يعاقب حتى لك ، فلم تشك فى الأمر . لم تتصور أننى أدفعك دفعا إلى قتلها حفاظا
على سمادتنا ، أو هكذا ظننت . كانت هى اليد وكنت أنت الخنجر الذى سوف
يقتلها ويقتلنى . اننى أعلم أنك رحيم حتى مع من آذاك ، وأعلم أن ميتة القطة سوف
تكون رحيمة ، وكذلك ميتتى . لا تظن أنك قتلتنى فلا يمكن يقال عنك
ذلك أكثر مما يقال إن خنجرا قتل ، كنت مجرد أداة لآحول لك ، تماما
مثل الخنجر .

إلى هنا إنتهى الخطاب لكن هنالك شيء أخير لم أظن في حينه أن له علاقة
بموضوع الشاب. في صباح التالي قرأت في صفحة الحوادث في إحدى الجرائد عن
حريق شب في إحدى المهنات على النيل ، وأن النار التهمت شقة واحدة ، فأنت
على كل ما فيها قبل أن يستطيع رجال الطافيه أن يتغلبوا عليها .

حدث بعد ذلك أن هذه هي الشقة التي كانت ملكا للسيدة وأوصت بها لزوجته
صديقي الجديد .





عند ما تتجسد الكلمة

لاخبرتك .. وان تصدق . لن تصدق حتى تكون أنت نفسك الهدف . حيث
لن يقف بك الامر عند حد التصديق ، سوف تنهار اعصابك . حينما تجد نفسك
هدفا لقوى الشر ، حينما يحيط بك الشيطان من كل جانب . عندئذ سوف تصدق .
حينما ترى الشر مجردا كما هو ، ليس في حادثة ، تقع او حتى هذه حوادث ، وإنما
نجاياه ، كأنما شخصاً يمثل . عندئذ سوف تصدق ، وسوف تنهار . انتظن اننى
ابالغ ؟ اذا فاستمع .. ولاخبرتك .

لن أنفق لك الكلمات ، فأنا لست بقسمي .. أنت تعرفى .. اننى مهندس ،
رجل عمل بكل ما تحمله الكلمة من معنى . كنت مثلك ، لا اصدق ما لا يستطيع

العقل أن يقبله . لا أصدق إلا ما أرى ، وما أسمع ، وما أعرف وأفهم ، أجل ...
كنت كذلك . أما الآن فلم أعد أدري !! لم أعد أدري إذا كان ما أراه هو حقيقة
ما أراه ، وما أسمع هو حقيقة ما أسمع ، وما أعرفه وأفهمه هو في الحقيقة علم ، وفهم .
إختلطت على الحقائق والالوهام ، حتى لا أكاد أن أصاب بالخيال ، لما أدري أين تقع
الحقيقة ، ويبدأ الوم .

إستمع ... أنت لا تعرف صديق رأيت ، وأن كنت لا أشك أنك سمعت عنه .
إنه كاتب قصصى تخصص في القصص البوليسية ، ونال شهرة لا بأس بها . إن قصصه
جميعها إستوحاها من الواقع إعتاد أن يذهب إلى أقسام الشرطة ، وأن يحضر
عها كم الجنايات ، إستمع إلى المرافعات ، يدون الملاحظات ويطلع على السجلات ، ثم
يمود إلى داره ويمزج بأسلوب بارع ، الخيال بالواقع . هذا هو سر نجاحه . إذا روى
قصة فتق أن لها أصلا في سجلات الشرطة ، أو المحاكم ، وإذا وصف شخصا فتأكد
من أنه رآه ، وغالبا ما يكون قد إستمع إليه ، لهذا ماتت تشمر وأنت تقرا له أن في
قصته حبكة طبيعية دون إفتعال ، وأن الأشخاص فيها أحياء يتحركون حتى كأنك
تستمع إلى نبضات قلوبهم .

عرفت رأيت منذ عشرة سنوات . كنا شابين ننافس على فتاة واحدة ، وفزت
بها دونه ، وتزوجتها . لم ينضب ، وتلقى الصدمة بروح رياضية . منذ ذلك التاريخ
توطدت صداقتنا .

منذ حوالى شهر . لم أكد أصل إلى مكتبي صباحا حتى وجدته ينتظرني . كان
هذا في حد ذاته غريبا ، ذلك أنه طائر مبكر أحب أن أكون من أوائل الذين
يصلون ، أما هو فبطبيعة عمله ككاتب يجب أن يعمل في سكون الليل ، وبالتالي
يستيقظ متأخرا . ولا أذكر خلال سنوات معرفتي به أنه إستيقظ مرة واحدة
مبكرا إلا لسبب قوى . إستقبلته هاشا مرحبا

.. أهلا .. إنك طائر مبكر .

راح يبعث في أصابعه بحركة عصبية ، وإبتلع ريقه قبل أن يتكلم .

— اسمع .. هل تستطيع أن تترك مكتبك الآن وتصل معي إلى منزلي ؟

ترددت ، ونظرت إليه بهات . إذا كان قد بدا لي عصبيا لحظة أن رأيته فأنني لاحظت الآن أن حاله سوءا قد أحاطت ببيله فأن من لم يذق النوم في ليلته . تساءلت

— لماذا ؟ إن لدى أعمالا كثيرة أود إنجازها .

— إنني أود أن أريك شيئا .

كانت إجابة غريبة لا معنى شيئا بالنسبة لي ، ومع هذا فأنني تذكرت بالصبر وأنا أسأله ثانية .

— ماهو ؟

— إنني لا أريد أن أتكمم حتى ترى ببيلك ، ونحكم .

بدأت أتضرر من هذا التموض

— اسمع يارافت لقد قلت لك أن لدى أعمالا كثيرة اليوم ، وليس هذا وقت للزح .

كان رده عصبيا راجيا .

— انني لا أمزح . أقسم لك على هذا .

— إذا خبرني ماهو ذلك الشيء الذي تريدني أن أراه ؟

— لقد قلت أنني لا أريد أن أتكمم حتى ترى ببيلك ونحكم .

— إذا لا تستطيع أن تأتي بما تريد إلى هنا ؟

— أجل انني أستطيع لسكني أفضل أن تأتي معي فأنني أخاف أن أدخل منزلي ، وأخاف أن أحمل ما أريدك أن تراه .

فرغ صبري وكانت لميجنى جافة

« ماهذه الترهات ؟ اننى لأحب الأحاجى . إنك رجل مكتمل الرجولة ،
وتقول إنك تخاف مدخل بيتك فى أن وضع النهار ؟ ثم تخاف أن تحمل شيئا تريدنى
أن أراه ؟ أمبان هو ؟

بلغ صوته حد التوصل والتضرع وقال وهو يرتعد .
— أرحوك أن تأتى . . استحلفك بصدقنا . . أرحوك .

لان قلبى حينما رأيت مدى ماوصل إليه من الرعب ، وطمأنته اننى سوف أصعبه
بعد دقائق . فتميمض الاحمال السريعة ، وأخبرتهم فى المكتتب اننى سوف أنقيب
ساعة ، أو اثنتين ، ثم صحبته إلى سيارتى . كان غير متزوج ويحطن بمفرده فى شقة
مكونة من حجرتين وصالة ، ومنافعهما ، تقع فى أعلى العمار فى طريق شارع
الاهرام . حاولت طوال الطريق أن استدرج لاهرف منه كنة ذلك الشيء الذى
يريدنى ان أراه لكنه تدرج بالصمت ، واستمر يعبث فى أصابعه وهو يلتفت
فى الوجوه التى نمر بها كأنه يتوقع ان يهاجمه عدو .

وصلنا أخيرا إلى مكنته ، ولاحظت أن إصطراجه قد ازداد ، وأن يده ترتعش
حتى وضع المفتاح فى القفل بصموبة . ما أن دخلنا ، وأغلق الباب حتى إتجه فوراً
إلى المكتتب وتبعته . . هى غرفة رحبه تطل على الاهرامات ، والمزارع ، جدرانها
الخارجية جميعا بالزجاج حتى أضفى للنظر رحبا . كانت غير منتظمة ، شأنها شأن
حجرات أى رجل أعزب ، لا يريد ما فيها على مكتب صغير . ومقعدين ، ومنضدة ،
ومكتبية كبيرة تحتوى كتبنا متزاحمة .

وقفت أنامل للناظر الممتدة ، وظل صديقى ساكنا فترة . سأله عما يريدنى
أن أراه ، فأشار إلى المكتتب حيث تنافرت الأوراق وقال .
— هذا الكراس . . هل لك أن تأخذه وتقرأ ؟
تملكنى الغضب .

— هل آليت بى إلى هنا وجعلتنى أترك عملى لمجرد قراءة صفحة من إحدى
الصحف السخيفة ؟

نحمل الإهانة باستكانة غريبة وسألتنى فى لفرع .

١ - أرجوك أن تقرأ

حملتي ما رأيت من مذلة على أن أتناول للسودة . كانت مكتوبة بالحبر الجاف
في كراسة سميكه وسأله في تعجب

- هل تريدني أن أقرأ كل هذا ؟

- كلا .. إفتح كيفما إتفق

إزداد تعجبي ، لكنني أطعت . تناولت الكراس ، وجلست على مقعد أمام
المنضدة ، ثم فتحت صفحة وبدأت أقرأ . كانت وصفا رائعا لوجه رجل شرير قاتل
قال عنه إن من السير على اللراء أن يقدر عمر الرجل ، ربما في الأربعين ، لكنه
أيضا من الجائز أن يكون قد بلغ الستين . لم يدع صديقي بعد هذا خلجه لم
يذكرها . الوجه الاسمر التحيل الطويل ، الفسكان القويان ، والوجنتان بارزتا
المظام ، الحدان المصنفقان ، الفم الواسع ، الشفتان الرقيقتان ، الأنف المموج وبه
فطس خفيف ، الحاجبان الكثان ، والجبهة الضيقة ، والشعر الحشن ، والأذنان
الكبيران . حتى ثنابا الوجه ، وصفها ، ولم يلبس آثار الجرح المستطيل الذي يصل
من الوجنة اليسرى إلى ما تحت الفم . لكن لعل أقوى ما وصفه هما العيخان . قال
إنهما غائرتان ، فيها خفي ملحوظ إذ يطنى إشعاع الشر للنبثق على ضيةهما . بدت
العين اليسرى أكبر من اليمنى قليلا ، ولعل ذلك راجع إلى آثار الجرح ، وصف
سوادها ، وحمرة بياضها ، والنظرة الثاقبة التي كأنما تأتي من أغوار حقيقة ،
نظرة تلتصع كأنما هي هنا حيوان مفترس ، ومع ذلك ففهيما شبه غريب بنظرة
الاسماك الباردة . فيها شرر النفس الشريرة ، وبرودة الموت .

إنني أنذرتك أنني لست بـكاتب فلن أستطيع أن أجاري رأيت في وصفه . كان
رائعا . كل سطر تقرأه يتمثل لك جزء من الوجه يكتمل ، فكأنك تراه ليس في
قلماته وصفاته فحسب وإنما خلجاته ، والاحاسيس للكبوتة فيه ، والمشاعر التي
تنطبع عندك حين رؤيته .

أخذ وصف الوجه صفحة كاملة من أول سطر فيها حتى نهايتها تماما بالرغم من أن الخط صغير مئق ومع هذا فإنى قرأته دون أن أشعر بأى ملل أو إطالة . حينما إنتهيت من القراءة ألقأت الكراس ، ووضعت على للنضة أمامى ونظرت إلى صديقى مسائلا .

— الهذا أتيت بى ؟ إن وصفك رائع لكننى كنت أستطيع أن أقرأ فى أى وقت آخر .

بان الفلق على وجهه ، وسألنى بلهفة وكأنما هو يرحو إجابة تقنمه عن شىء فى نفسه

— ألم تلاحظ شيئا ؟

— قلت لك إن الوصف رائع

هز رأسه نفيا وجلس على المقعد الثانى أمامى . وضع رأسه بين يديه ، وسمعه يتمتم وهو يشج

— يا إلهى .. هل جئنت ؟

أهمنى ما هو فى من حالة نفسية وسألنى برفق

— لماذا لا تروى لى ببساطة ما يضايقك ربما أستطيع المساعدة ؟

لم يرفع رأسه وهزها نفيا

— كلا .. لن يساعدنى سوى الله .. لا شك أتى سأفقد عقلى .

حاولت أن أسرى عنه فقات مازحا

— إذا شئت ملاحظة أخرى على كتابتك فإنه يبدو أنك كنت تكتب بقلم كاد أن يفرغ مداده . إن الكتابة تحرف فى بعض الكلمات حتى لا تكاد أن تقرأ ثم تعود كأنقل ما يكون .

رفع رأسه بنقطة وقد عاد إليه الامل وعادت إليه لهفة السؤال

— هل لاحظت ذلك ؟

أجيبه بتعجب وأنا لا أنصّر أن مثل هذه الملاحظة السخيفة لها أية أهمية
— أجل .. لكن هل لهذا أهمية ؟

— أجل .. أجل .. كل الأهمية .. هلا قمت الكراس ثانية !!
سأبرقه إذ رأيت مدى لهفته . تناولت الكراس وسألت
— هل تريدني أن أبعث عن الصفحة نفسها التي كنت أقرأها ؟
— لا يمم انتح كما فعلت في المرة السابقة ، إفتح كيفما اتفق .

فعلت ذلك ، وكانت دهشتي حقيقية حينما وقعت عينى على السطر الأول
وتبينت أن الصفحة كانت هي نفسها التي قرأتها قبلا . تمت بصوت خفيض وأنا
أنظر إليه

— هذه مصادفة غريبة .. إنها الصفحة نفسها
— هلا نظرت إلى الصفحة .. ! انظر إليها كسكل ، ولا تقرأ ..

حاولت نظري طائعا ، وكدت أصمق . فجأة برزوجة من ثايبا السطور
مصورا تصويرا كاملا كما قرأت وصنه ، وكأني طبع في مخيلتى . كان مرسوما بوضوح
شديد يملأ الصفحة كلها ، لم يقف الأمر عند هذا . إننى أقسم أن العينين كانتا
تعمان بريق قوى كأنما الحياة تدب فيهما . لبثت برهة أنظروا وقد اجتذبتنى العينان ،
لم أستطع أن أحيّد بنظري عنهما ، وكلاهما أغمضت كلما اشتد بريقهما .

من غور سحيق أثنى صوت رافت متهدجا ضعفلا

— ماذا ؟ .. ماذا لاحظت ؟ . لماذا لا تكلم ؟

رد صوته إنتباهي ، فكأنما أيقظنى من سبات عميق . رفعت عيني عن الصفحة
وقلت بصوت لا أحيدينى أهرقه ، صت لو سمعته لأنكر أنه صوتى .

— كيف فعلت هذا ؟ .. لم أكن أعرف أنك رسام .

— فعلت ماذا ؟ .. ماذا ترى ؟

— ذلك الوجه . إنه شيطاني يبرز من الصفحة .

تنهد بارتياح ، ولأول مرة منذ أن تقابلنا صباح اليوم كان صوته هادئا .

— الحمد لله .. إذا أنا لم أقدر على .. إذا كل ما حدث صحيح .

لم أعلم مما يتسكلم وأعدت سؤالى .

— كيف فعلت هذا ؟ كيف رسمت الوجه وأنت تكتب ؟

— أنا أرسم شيئا ، وإنما كتبت الوصف كما أكتب أى شيء بلا تواف ،

ولاتفكير فى الرسم كتب الصفحة جميعها فى أقل من عشرة دقائق .

— مستحيل .. !

— أنظر إلى الكتابة التى قبلها واتى بعدها . ستجد أنه القلم نفسه ، وأن

الكتابة هى نفسها .

إنك قلت إن المداد بدأ ينفذ من القلم أبدا .. أنظر بنفسك وأحكم .. !

إنك تعلم أننى لا أعرف شيئا عن الرسم فهل أستطيع أن أرسم شيئا كهذا فى دقائق

وبهذه الطريقة ؟ إن الأمر يحتاج إلى أمهر الرسامين حتى تخرج صورة بهذه الدقة ،

وأعتقد أنه يلزمه أياما لكى يصورها من مجرد جبر جاف يخب شيئا ، ويتزايد

مداده شيئا آخر .

كان كلامه كله صحيحا . إن مثل هذا الرسم يحتاج من رسام متمكن أياما ،

وربما شهورا ، لكى يخرج بهذا الإتيقان . وصديقى لا يعرف شيئا عن الرسم .

— لكن هذا مستحيل .. لا يمكن أن تخرج مثل هذه الصورة بمجرد

للمصادفة .. لا بل مصادقتان . فرسم الوجه بفردة مصادفة .. وإنطباع السات ،

والأوصاف هى الكلمات مصادفة ثانية .. كلا إن هذا مستحيل .

— بل ثلاث . إنك تحت الكراس عشوائيا مرتين وفى كل منهما خرجت

الصفحة نفسها . لولدت ذلك عشرين مرة فسوف تكون النتيجة واحدة .

— إن هذه أستطيع أن أعلمها فربما تكون قد وضعت شيئا فى الكراس ،

مما حمل هذه الصفحة تفتيح عن غيرها ، وهى ذلك تفتيح تلقائيا فى كل مرة .

إن هذا يحدث كثيرا .

— لم أفعل شيئا من هذا .. أنت تريد تعليلا آخر .. إن صاحب الوجه يريد أن يتنفس —

ضحكت ، إلى هنا ولم أكن مستعدا لتقبل الخيال .

— ألا تراك تبالح ؟ ألا ترى أن خيالك القصصى قد غلبك منك ؟

— والصورة أهى مبالغة أيضا ؟ والمينان البراقعان ؟ أهى مبالغة ؟

إضطرت أن أعترف :

— لاشك أن هذه مصادفة غريبة لا يمكننى تعاليمها ، لكننى لن أصل إلى حد

أن أضع الفروض لأثبت فيها الحياة .

— كيف أقدمك ؟ . ومع هذا أنتظر .

كانت نوافذ الحجرة مغلقة فلم نفتحها حينما دخلنا إذ لم يكن فى نيق أن أمكت
لأكثر من دقائق . قام صديق من مكانه إثر مكانه ، واتجه إلى إحدى النوافذ وفتحتها
ثم عاد إلى مكانه . كان الوقت صيفا وكانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا ومع هذا ،
ربما لأننا فى الطابق السادس ، ولأن المارة فى منطقة خلوية دخلت نسمة هواء ،
تلاهبث بصفحات الكراسى قلبها ثم هدأت . دون أن ينظر إلى الصفحة التى إستقر
الكراسى عندها ، فتوحا قال .

— أنتظر .

نظرت وأنا أثيب النتيجة المتوقعة ، أحل أطل الوجه الوحشى . وجاء صوت صديقى .

— مصادفة أخرى .. لقد هدأت نسمة الهواء . لعلها أيضا مصادفة .

لم أعمالك نفسى أن قلت .

— إن هذا عمل شيطانى .

للمرة الثانية تمهد بارتياح .

— أحل إنه عمل شيطانى .. لكن هذا ليس كل شيء .. أنتظر حتى أروى لك

ماحدث وستعلم أى مدى هو عمل شيطانى .

ابتدأ رأيت بعد ذلك يروى لى قصة هى أقرب إلى الخيال من الواقع ، وما كان يمكن أن أصدقها لولم أر مدرأيت ، وحق مع مشاهدته بمنى لا أزال أتردد فى تصديق أن شبتا شيطانيا مثل هذا يمكن أن يحدث حقيقة . قال صاحي .

ربما يكون من الاوفى أبدا أن منذ رأيت الرجل صاحب الوجهه اول مرة . أنت تعرف أنى أستوحى قصصهم من واقع الحياة ، ولهذا فإننى دائما أقرأ كل ما يرد من الجرائم فى الجرائد والمجلات ، ثم أتناوع الحوادث شخصيا بأن أنتقل إلى أقسام الشرطة ، والمحاكم . لا بد أنك قرأت أو سمعت عن صاحب هذا الوجهه ، أو كما أطلقت عليه الجرائد القاتل الضاحك .

هزرت رأسى نفيا فإننى لأهتم بقراءة صفحة الجرائم فى أية جريدة ، أو مجلة إذ اعتبر أن هذا مضيعة للوقت لا داعى لها . حينما رأى صاحي جهلى إستمر فى حديثه . — لا بأس . هو رجل كان يؤجر للقتل . لكنه لم يكن قاتلا عاديا ، وإنما كان القتل هوايته . يقتل لمجرد الشهوة ، والرغبة دون أى اعتبار لضحيته ، رجلا ، أو امرأة ، أو طفلا . إشتهر عنه أنه كان يتلذذ بالقتل حتى أنه كان يطلق ضحكات شيطانية وهو يزحف روح ضحيته . إن سجله حافل بالجرائم ، لقد تقيمت ، وعرات تاريخ حياته ، بل لعلنى أستطيع أن أقول إننى عرفت دخائله ونفسيته . أتدرى متى بدأ تاريخه فى القاتل ، بدأ فى المباشرة حينما قتل أباه لأنه رآه يضرب أمه . ربما يخطر فى ذهنك أن هنا شعورا طبيعيا على الأقل أبدا . . . بعد خروجه من الإصلاحية بأقل من شهر قتل أمه لرفضها إمداده بالنقد .

كان يرتكب جرائمه ، ويعرف الجميع أنه الفاعل لكن أحدا لم يجرؤ على التعرف عليه ، أو الشهادة ضده . لا . . لقد جرؤ أحد المخبرين أن يبلغ عن حادث قتل رآه فيه بعينيه . وقتل المخبر للمكئين ، وتقدم خمسة شهود يقسمون أن الضاحك كان مسافرا فى ذلك الوقت . لوعدت لك رقم ضحاياه على مدى عشرين سنة ، أو تزيد منذ خروجه من الإصلاحية آخر مرة ، وشقه وهو فى حدود الأربعين لمالك الرقم وما صدقت .

في حادثة واحدة إستؤجر ليقتل ويدخل على صحبته في داره وقتله ، و اضاف إليه زوجته ، و أثناءهما ثلاثة أطفال لا يتجاوز سنه أكبرهم السابعة أما الصغير فكان رضيعا . خسة أشخاص في حادثة واحدة . فيها أيضا إصابة الجرح الذي ترك آثارا على خده الأيسر . لقد حنت المرأة وهي ترى زوجها ، و ابنتها الأكبر الذي كان معه يقتلان أمامها ، و تناولت مديته ، لعلها من مطبخها و حاولت قتل الرجل ، فكان نصيبها وولداها الآخرين ان لحقوا بهما . سلمة من الجرائم لاتنتهي ، وسيل دماء يشفق وراءه حيثما حل .

هذه الحقبة سرية عن وع حرمانه احدك ، لعلها تعطيك فكرة عن شخصيته . ذاعت شهرته في اساطير طلبة ، و الخدميين على السواء ، حتى ان مجرد ذكر اسمه كان يلقى الرعب في قلوب القلوب ، و كثرها شجاعة . إنتشرت عنه الشائعات حتى أضحت أسطورة . سبب إليه جرائر ما لم يقر بها . و قالوا إنه حليف الشيطان ، و انه يعبد ، و يقدم على اقتل صاهله ، و في المقابل أصفى عليه الشيطان حمايته ، و هو به أقوى تفوق قوى البشر . ربما كانت هذه مجرد أراجيف ، و ربما لم تكن .

أخيرا قبضوا عليه . ساطع عزمه تقدم رحل مسن ، تمدى السمين ، للشهادة ضده و صحبه حميدته . وصفه صدايقه ، لم يسر التعرف عليه كما تعلم . قال إنه قتل حرما ، و أنه كان يدحاك وهو يهرق الدم . لم يبدل رجال الشرطة عفاء كبيرا في البحث عنه إلا يدرك انه لم يكن يتوقع ان أي شخص يجزؤ على الشهادة ضده ، او لعله لم ير الشاهدين وبلا لقضى عليهما .

حل موعد المحاكمة ، و في قاعة الجلسة رأته لأول مرة . إنك رأيت صورته ، و هي صورة مجسمة صحيحة لسكها لاتقارب الحقيقة . كان الشر يفيض في كل خلجة وجهه ، و في كل حركة . و شره . و ان احدا سال امهر رسام ان يجسد الشيطان لم يمكن ان يصوره بأبشع من هذا الرجل إذا أضفت إلى هذا الوجه جسدا نحيلاً ذراعاً ، و كفتين عربيتين ، و أصابع خات من اللحم فسكأنها محالب موتى ، فربما تستطيع ان تصور مدى ما يمكن ان يليقه مثل هذا الشخص من الرعب في القلوب .

استمعت المحكمة إلى الشهود ، وترافع ممثل الدفاع ، وترافع ممثل النيابة ، ولم يشك أحد من الحاضرين في الحكم . . أثناء المرافعتين حوالت نظري عدة مرات إلى المتهم في القلم . ظل صامتا طوال الوقت ، لكنه كان كأسد جيبس يستمع للوثوب . كان يرمق الشهود ، الرجل المجوز ، المعتاة ، والضابط الذي قبض عليه ، ويمثل النيابة ، نظرات بارية مأوها الحقد ، والكراهية حق لكأنك تستطيع أن تسم رائحة كريهة في النظرات ذات مرة حينما ألقت إليه كان ينظر إلى . ركز نظراته البشمة على عيون حوالت أحول نظري فلم أستطع . أحسست أن ضحية أخرى له ، وكأنه يقره قتل . لست أدري لماذا غمرني هذا الشعور ، وملكني حتى لكأنني عصفور صغير سعرتة حينما الانصت وسعرتة في مكانه حتى ألتمته .

استدعى الأمر إستجماع إرادتي حق حولت نظري إلى المحكمة ، ولم أجسر على النظر ثانية إليه . انتهت المرافعة ، ولم ينسحب أعضاء المحكمة للمداولة . مالوا على بعضهم يشاورون ثم نطق الرئيس بالحكم . إحالة الأوراق إلى الملف . لبرهات فلائل هم القاعة سيكون مطبق قطمته ضحكة منخفضة . ضحكة شيطانية حولت الانظار إلى المتهم كان أعضاء المحكمة يهمون بالوقوف للانسحاب إلى غرفتهم ، ووقف الجميع . احتراماً . وتسكام الرجل

— سوف أقتلكم أجمعين ، ولو أرسلتموني إلى جهنم السابعة سأعود لأقتلكم .

جوه الشرعة المكافون بالحراسة ، ليخرجوا به وألقت أنظر إليه . . رغما من تكالبهم عليه فإنه وقف ينظر إلى ، ولم يمر الضربات التي إنهالت عليه إهتماماً . ركز نظره حتى أتى تسمرت ثم أرسل ضحكته الشيطانية ، وصمته يقول

— أنت . أنت .

له أفهم ماذا يعني ، وتغالبوا عليه قبل أن يتفوه بكلمة أخرى ، لكنني ونيق ضحكته ، وصوت كلماته ، ونظراته اللعائفة استمرت تؤثر في لمدة طويلة بعد ذلك

حينما رأيت الشهود كان الضابط يحاول أن يتمالك أعصابه ، أما الفتاة ، والرجل المعجوز ، فكانا منهارين تماما .

تابعت تاريخه في السجلات ، و تابعت محاكمته في النقض ، لكننى لم أجروا على الدخول إلى القاعة ، ولم أرد مجابته في أية مرحلة . كانت شخصيته تسحرنى ككاتب فبدأت أجمع خيوط القصة . من الغريب أنى وأنا أنسلكم الآن أذكر السهولة العجيبة التى صادفتمها فى جمع المعلومات . ببساطة وسرعة فائقة حصلت على كل ما أريد ، وكأنما هنالك شخص يقدمها إلى ، ويسمى مى . لم أطلب محضرا فى قسم الشرطة إلا عثرت عليه بمجرد الطاب ، لم أفكر فى سؤال شخصى إلا وكان حينما ذهبت أبحث عنه كأنما ينتظرنى ، لم انتح سجلا إلا وكانت الصفحة للشودة تقفز أمام عينى . لم أصادف مثل هذه السهولة فى جمع مادة كتاب مطلقا . استطيع أن اذكر لك عشرات الحوادث البسيطة التى بدت لى فى وقتها وكأنما هى تحدث بمحض الصدفة لكننى وأنا أنسلكم الآن أعلم فى أعماقى أنها لم تكن كذلك . كان هناك من بعدها ، ويمهد لى السبيل قبل أن أسمى .

حينما بدأت للكتابة جرى الأمر بالمثل . يسر فائق جرى قلبى . لم أبحث عن المسودات فلا أجدها كما يحدث عادة ، كانت دائما تحت يدى لم يقطع أفكارى زائر غير مرغوب فيه ، ولا جاءتنى معاداة تلفونية ، ولا حدثت حادثة خارجية تؤثر فى هملى ، أو تستغرق وقتى . كنت أنام مرهقا ثم أستيقظ بعد ساعة أو اثنتين نشطا ، وكاننى إسترح طول الليل ، وأبدأ فى الكتابة . كيف كتبت الصفحة التى شملت وصف الوجه كما رأيته ؟ لست أدرى . كل ما أذكره أنتى بدأت فيها فى منتصف الليل ، ولم تمض دقائق حتى كانت قد إنتهت . من الغريب بمد هذا أنتى تكاسلت فى الكتابة ، وقل حماسى فلم أسطر إلا أقل من صفحة أو اثنتين فى اليوم . كأنما كان هنالك من يستخدمنى لغرض معين ، ويساعدنى على القيام به ، فلما وصل إلى هدفه فقد إهتمامه بى ، وتركنى لشأنى . إنتى أشعر بهذا الآن ، ومن البدهى

أنتى لم أشك فى شىء قبلا . قبل أن تنتهى محاكمته فى النقض ، وقبل أن يعدم شنقا كذبت قد إنتيهت من كل ماهو مسطر أمامك .

فى صباح أحد الايام أيقظتنى فى غير موعدى رائحة كريهة تفاذة تملأ للنزل . ظننت فى مبدأ الامر أنتى نسيت بعض الأكلات ففسدت ، فذهبت إلى المطبخ ولم أجد شيئا . تتبع الرائحة حتى وجدت انها صادرة من حجرة المكتب . فتحت النوافذ واخذت أبحث وربما كان هناك شىء فاسد فى أحد الأركان . ولم أعثر على شىء . فى ذلك الصباح رأيت الوجه لأول مرة . حانت منى إلتفاتة إلى المكتب ووجدت ان الكراس مفتوح على هذه الصفحة . صدقتى أنتى لم الحظ قبلها ذلك الوجه المرسوم ، لكنه فى الصباح كان يطل على ، وملؤه الحياة حتى أنتى تراجعت مبتعدا . لمسى أخطأت فى التعبير . أم تكن نظراته مليئة بالحياة فحسب ، وإنما كانت ايضا رياضة الأحاسيس ، والمشار فيها لنة الإلتصار والفكرافية ، والتهديد .

ومنذ ذلك الوقت لم أجرؤ على أن كتب حرفا واحدا فى الكراس . إن القصة تكاد أن تنتهى من حيث روايتها ، ومع هذا فإنتى وجدت نفسى أدعها جانبا . كلما هممت أن أتناولها لآتمها ، وتفتحت الكراس طالعتى الوجه ، واضطر إلى غلقه وأنا أرعصد . مضت أيام لم أكتب فيها حرفا ثم قررت ان لا أنساق وراء تيار الأعصاب ، وإلا انهارت ، فبدأت أكتب فى كناية قصة أخرى .

عدت إلى سابق عهدى من تنبج الجرائم والمجرمين . حضرت ذات يوم إحدى محاكم الجنايات ، وكانت الدائرة نفسها التى حكمت على القاتل الضاحك بالشنق . كان أحد المحامين يتراجع ، وجلست هيئة المحكمة تستمع . تراجع الرئيس فى مقدمه ، وراح ينظر بصبر إلى المترافع فجأة رأيتة يعتدل وينظر أمامه ، أولا كن لا يصدق ما يرى ، ثم برعب أفقده السيطرة على نفسه . لاحظ المترافع ماطرا على رئيس المحكمة ، فتوقف ، ومال على الرئيس زميلا ، كما أتجهت الأنظار جميعها إليه ، لكنه كان كأنما فقد عقله .

ارتفعت يدها تمهانا شيئا غير مرئي يهبط عليه ، وأطلق صرخاته الم مكشوفة .
لم تفلح هيئة المحكمة في تهدئته إذ استمر في حركاته العريية لثوان بدت دهرام
إنكسار على وجهه

قالوا بعدئذ إنه أصيب بهبوط في القلب إثر إجهاد رائد ، لكننى أعلم غير ذلك .
وسط كل المرح الذى حدث فى القاعة سمعت ضحكة شيطانية لم أشك لحظة فيمن
أطلقها . إن رئيس المحكمة لم يمت بدبحة صدرية ، أو هبوط فى القلب ، وإنما
إنهالت عليه خناجر غير مرئية تمرق قلبه ، وشرايينه ، وتورده حنقه ، والقائل قابع
فى منزلى مطمئن بين صفحات المسودة .

لست أدري هل أستطيع أن تصور شمورى حين عذرت المحكمة وأنا أعلم
ذلك ، بل أنى ذهبت فى تصورى إلى أنى لى لى الحقيقى . إن الكلمات القاتلة
صدرت منى ، وبخط يدي ، رسمى شخصيا وراء القضية الملعونة . لم أكن أستطيع
أن أبوح بما أعلم لآى شخص ، فوعلت لانهمى بالجنون . فكرت أن آتى إليك
إلا أنى أعرف طبيعتك العممية ، وحشيت إلا تأخذ الأمر على محمل الجد . احترت
أين أذهب وماذا أقص . لى كنت أسير فى طرقات هاأما بغير هدف ، وربما أكون
قد جلست فى أحد المقاصى ، أو اوعى لى لم الأمر بضمى الوقت إلا حينها وجدنى
مستقلا قطار الصحافة إلى الاسكندرية .

أردت أن أختلى بنمى بضعة أيام فكر دىها بعيدا عن المنزل ، وبعيدا عن
المسودات اللبية . أردت أن أقدر مومى . هن أنا شريك حقا فى قتل المستشار ؟
بعد بضعة أيام داحتنى الشكوك فى تصورى . إن المستشار كان رجلا كبير السن ، إلا
يجوز أن تكون عود أصابته حقا نوبه قلبية ؟ إن هذا كثير الحدوث لرجال
القضاء ، وليس هو بأمر رجل منهم أصيب وهو على للنمى . إلا يجوز أن أكون
مخطئا ؟ إلا يجوز أن يكون خيالى قد حمل الأشياء أكثر مما تحتمل ؟

طمأننى هذا التفكير ، ومع مرور الأيام اتقنعت بأن ما فكرت فيه كان مجرد وهم
لا معنى له ، وحدث الله اننى لم أبع به لى أحد ، وأعرض نفسى للسخرية .

اعتبرت ان اقضى بعض الإهمال في الاسكندرية ، واعدود إلى القاهرة عصر
اليوم التالي ، قررت ذلك ونمت فريز العين . ثم جاء الصباح للدين كان من خبر
فراقه مع انطوى هو ان نوبة فلبية أصامت بمثل ليابة وهو يتراجع في احدى
الجنالات . قرأت الإسم ، ولم أشك انه هو نفسه الذى كان قد تراجع في قضية القاتل
الضاحك ، بل ان الجريدة ذكرت القارى بهدا ، ذكرت بان رئيس الدائرة التى
حكمت فى الجناية قد توفى بالسبب نفسه منذ أقل من أسبوعين .

لم يعد لدى أدنى شك ان مثل اشياءه كان صميم اسس ، لا يسجد ، ولا ريبين ،
ومن المستبعد ان تصبه اية نوابات مبنية كان الطريق أداى واسحا على ان
أذهب إلى المنزل ، وان مرق معه . ان مثل هذا القرار عسير على المؤلف فهو
ينظر إلى نفسه كما يطر إلى ، ليد به وليس من ليسر ان يقنه . لكن لم يكن فى
الأمر مناص . ان هالك عضوى الحكمة ، وهناك الشهود الثلاثة ، وحميمهم
معرضون للموت ، لا بل اقتن ، سبى ، على ان أسرع الى تجريق القصة .

اتخذت سبيلى إلى لقاهرة ، وصلت فى المساء كان ذلك اسس حينما فتحت
باب المنزل هبت على ذلك راحة دموية ، راحة افور . وجدت جميع النوافذ حق
رالت ، ومع هذا بقيت حجيرة المكتب ، عطرة ، وكانها الصدا قد غطى جدرانها .
توجهت إلى المكتب وتمازل اسكراس وفى عرمى ان امره . لست أدري كيف
أصب لك ما حدث . كيف اقوى ان الرائحة احدثت بالرؤية فأصبح الإثنان
واحدا كيف اصور لك تلك الرائحة اسكراس . لى مدت إلى افى حتى كان ان
يفشى على ، واننى من خلالها اعنى من خلال الرائحة ، رأيت لعينين الشريرين
ملتصمان .

هل اسكلامى هذا معنى ؟ هل يمكن للرائحة ان تنجسد ؟ هل يمكنها ان
تتكاثف حتى تخفى ضياء الصباح ؟ ام عسانى أكون قد انتابنى عشاوة فأظلمت
الدينا ؟ لمرها كيفه ، شئت ، لكن أيا كان التفسير فهناك حقيقة واقعة ان

الظلام هم الحجرة ، واننى من خلاله رأيت العينين . لم يكن هذا كل شيء فقد التمع نصل خنجر فى السواد المحيط وكأن يداخمية تقبض عليه ، وهبط بسرعة البرق يهدف قلبى . رفعت يدى انقادى الطمعة ، واحسست بالنصل يشق طريقه فى لحمى ، وبأن سائلا دافئا لزجا قد بلل ملابسى .

لا أستطيع أن أقول ما حدث بعد ذلك ، فلست أذكره على وجه التحقيق . ربما أكون قد صرخت ، وغشى على ، أو ربما أكون فررت من الحجرة . كل ما أستطيع أن أقوله اننى حينما بدأت اعود إلى رشدى كنت ملق على الفراش فى حجرة نومى ، والعرق يتصبب منى . مضت دقائق وانا فى شبه غيبوبة لا أدري ما حدث ، ثم بدأت التذاكرة تعود إلى . كان اول عمل عمدى اقوم به ان حركت ذراعى ، واحسست بها تؤلى . تحسست ملابسى وانا اعتدل فى الفراش لكنهما لم تسكن بمنزلة ، ولا تبليت آثار دماء عليها .

ترددت قليلا قبل ان أستطيع ان استجمع شجاعتى ، واتسلل إلى غرفة للكتب كانت ما زالت مضاءة . لم اجسر على الدخول وتنقلت بيمرى فى ارجائها وراعى ان الكراس كان على للكتب . اننى اذكر تماما اننى تناولته ، ورفقته من للكتب ومع هذا انها هو امامى مستقر فى مكانه اهل كان ما حدث لى مجرد حلم ؟ إن الآلام القدى أشعر به فى ذراعى يؤكد لى انه لم يكن كذلك . عدت إلى حجرة النوم ، وخلعت ملابسى وراعى ان أرى على ذراعى ندبا طويلا ومع هذا فإن الأثر يدل بوضوح على ان الجرح قديم ، وانه لم يبق سوى مجرد ندوب موضع الشئامه .

منذ ذلك لم اجروء على ان امد يدى على الكراس ، ولم اجروء ان أنام ، أو ان اسكن فى المنزل . خرجت أسير فى الشوارع ، وانا اتخيل ان الضاحك يتبعك . فزعت من كل وجه رأيت ، جنفت من وقع أى قدم ورأى ، حينما يزغ الفجر وجهت إلى مكتبك انتظر قدومك .. هذا ما حدث .. إنما أود ان أريك شيئا .

خلع سترته وشمر عن قبعه . عند الساعد قريبا من المظام ، رأيت النعب .
كان من الجلى انه من أثر جرج قديم نشأ عن طمعة مديه أو خنجر . جلست مبهورا
وأنا أنظر ، ثم جادنى صوته يكاد ان يكون هامسا .

— ماذا افعل ؟ .

لم يكن هنالك مجال للتفكير بدا خط العمل أمامى واضعا لاريب فيه ،
وأجيبست ..

— إذا كان مات قوله صحيحا فلا بد ان تقدم القصة . حتى إن كان مجرد وهم ،
أو خيال لأنك لا تستطيع ان تعيش مع تصورك انت السبب للباشر فى قتل إثنين .
ثم هنالك خمسة آخرون مهددون بالموت ، ولست احسب ان ضميرك يستطيع
ان يتحمل وزرهم .

— لقد قلت لك إننى لا أجرو على ان امس يدى على الكراس . إنه
سوف يقتلنى !

رأيت مدى إنيار أعصابه ؛ ربما كان له المذر . واستقر رأى .

— أين صندوق القمامة ؟

— فى المطبخ .

ألت من فورى وتبعنى . طلبت منه بعض الجاز فجاء برجاجة ملائى . ووضعنا
بعض الصحف القديمة فى الصندوق وصببت الجاز . ثم اشعلت النيران . يدر اننا
لم نلاحظ ونحن نعمل هذا ان الضوء فى المنزل يتحول ؛ كما ان رائحة نفاذه بدأت
تصل إلى انفياس تملنى على رائحة الجاز القوية . حينما إنتهيت من إشعال النيران فوجئت
بأن الضوء قد خفت ، وتحول إلى صفره كأنما قد هبت ريح خماسيدية عميقة بالتراب .
كننا فى حوالى المائسة صباحا ، ومع ذلك فإن الرؤية بدأت تقل جادنى صوت صديقى
يهتف راجيا .

— أسرع .. لقد أحس بما نحن مقدمان عليه . ، أسرع بالله عليك .

نطمت المسافة بين المطبخ وحجرة للكتب عدوا ، وإزدادت كثافة الظلام كما تزايدت الرائحة بشكل جعلنى أود لو ألقيت مائى حوفى .. مع هذا لم اتوقف. إتجهت من نورى إلى المكتب وقبضت على الكراس ، وهرعت به طالدا إلى المطبخ . قبل ان اصل إلى الباب كان الظلام تاما حتى أننى بدأت أنخبط .. وجاءنى صوت صديقى بصرخ بالسا .

— لا فائدة .. لن نستطيع ان نخطو الخطوات التالية .

من الظلام اتهم عينان كلها شرر ، وكأها حقد .. خيل إلى أن جزءا من الظلام قد التقت حول نفسه ليصبح جسدا نحىلا طويلا تحتفى نهايته مع السواد . حاولت ان ألتهم السواد ، وادخل من باب للمطبخ إلا اننى فقدت إحساسى بالإتجاه . أحست اننى أدير فى حلقة مفرغة من الظلام ، وأننى أنخبط فى الجدران ، والأثاث . فى السواد إلتصق الخنجر . وإرتفع ليهبط على صدرى . بحركة آلية رفعت ساعدى . أتلقى الطعنة ، وأحسست بغيران تلمب ساعدى . فررت أمام الخنجر ؛ وراح يتابعنى . من المطبخ كان صديقى بصرخ ، وبه كلام لكن الذعر كان قد تملككنى تماما . ولم أفهم شيئا . كنت أود ان أمر من هذا الموت الذى يلاحقك . حيثما ذهبت كان الخنجر ياتمع أمامى .

تقطعت أنفاسى . وأصابنى جروح وخدوش هذه من إرطامى بالجدران ، والأثاث . وتمثرت أكثر من مرة ، وسقطت على الأرض . وحالت العينان ومعهما الملتصق بالسواد إرتفعت ضحكة شيطانية وهبط الخنجر على صدرى . تدمرجت على الأرض ، وسمعت زمجرة غضب. لم يصبى النصل لم يكن لى تفكير سوى ان أفر من الموت ، وان أبتعد عن الظلام الذى يلاحقنى حيثما تحركت . ومع هذا فإننى فى عقلى الباطن كنت أعلم أننى لو أركت الكراس سوف أقتل . ظلمت لاعموريا أتمسك حق به حيثما تمثرت فى مقعد ، وسقطت على الأرض لم أده من يدى . بل لى عدوت عليه . أحسست ان الظلام الذى يقبضى ، ويرصدنى بالموت ، هو أيضا فى قبضة يدى ، واتى أخنقه ، وامنع عنه التنفس .

من مكان سحيق حائثي أصوات طرقات شديدة على الباب الخارجي ، وفي الظلام بدت العياف وكأنا أصاب صاحبها اندعر . كان يود أن يقضى على بأسرع ما استطاع ، وعدت إلى الجرى ، والفرار ، وأنا أتخبط بلا وعي . فجأة هبط الخنجر ليصيني مرة ثانية في ساعدي ، وكاد الكرسي أن يسقط . بلهفة امتدت يدي لم أرها ، واختطفته ، وعدت الزجاجة المأمضة . تركني الملتب بالسواد ومضى يلاحق رافق .

لم يمتن صديقي بالدفع عن نفسه ، ورأيت الخنجر يهبط على ظهره بقسوة . رأيته يترنح لكنه إندفع دور توقف . لم أكن أدري أين المخلب لكنه كان يعلم . إرتفع النصل مرة ثانية ، وهبط عليه . صرخت محذرا ، إلا أنه لم يبتفت . كان كمن كرس نفسه لمهمة ، وعليه أن يؤديها ، دون إعتبار لحياته .

ظهرت النيران لأول مرة منذ بدأ المواد ينفى على المسكن ، يوان باهقة كأنما تحبوا . فيها التي رافق بالكرسي ، ورأيت النصل يرتفع ، ويهبط عدة مرات بسرعة خاطفة ، ثم شاهدت صديقي يقع على الأرض إلى جوار صندوق القمامة .

من الصندوق إرذلت صرخات مكتومة لشخص يحترق . إزداد لهيب النار اشتعلا وبدأ الظلام ينقش ليحل مكانه ضوء النهار ، كما زالت الرائحة الكريهة ببطء لتنفذ إلى أنفي رائحة الجاز ، والأوراق المحترقة .

* * *

كسر باب الشقة الخارجي ، وإندفع منه رجل شرطة يتبعه جماعة من الجيران ، على ما يبدو ، شاهدوني شعنا بمزق الملابس ، بوجهي كدمات ، وخدوش . رأوني واقفا إلى جوار صديقي الملقى على الأرض ، ورأوا النار مشتعلة في أوراق داخل صندوق القمامة ، كما رأوا حالة الفوضى التي كانت عليها الشقة . تنازلت أيديهم ، واعتقد أن منهم من ركفى ، أو ضربني ، إلا أنني لم أكن أشعر لقد ظلت والنا كالذهول مال أسمعهم على صديقي ، ويبدو أنه كان طيبا ، وتحقق من موته .

فقبضوا على وزجوني في السجن . تقدم الشهود يروون ما سمعوا من اصوات الصراخ ، والعرالك . رويوا ما شاهدوا ، ولم اذكر ما اقول فظلمت على صمتي . ما طائفة الكلام ؟ من يصدقني لو قلت الحقيقة .. !! زاد الطين بلة انهم بحثوا في الماضي ، وعطوا تنافسي مع صديقي على حب زوجتي ، وانني فزت بها دوني . ابتدعوا من هذا هدفا للقتل . قالوا انني فزت بها لانني الايسر حالا ، لكنها ظلت على هواها لرافت . زعموا انني هلت انهما كانا يتراسلان نصحبته إلى مسكنه ، وإتزععت منه الخطابات بالقوة ، وأحرقتها ثم قتله .

ربما كانوا على حق .. وربما لم يحدث شيء مما ذكرته لك .. لعلني قتلت صديقي فعلا .. أو لعلني كنت أداة في يد القاتل الضاحك .. لعل الشيطان قد لبسني .. لست أدري .. فقد إختلطت على الحقائق والاهام .. فما عدت أعرف أين تلتهي الحقيقة ، ويبدأ الوم .

* * *

الفهرست

صفحة	الموضوع
٣	دائوش
٧	صوت الإله
١١	الفيل
١٩	القسم
٢٤	حذر الموت
٣١	عملية تبادل
٤٢	العقري
٤٨	درس في التاريخ
٦٠	نبات للزينة
٦٧	ساعة وصورة
٧٣	موااة المرأة
١٠٤	عندما تتجسد الكرامة

كتب للمؤلف

مبلغ جنيه

— ٤

٩٠٠

٩٠٠

٢٠٠ ١

القوى الخفية نظرات في تاريخ البحر

النسر والصقر — بداية الصراع

عباقرة الأسلاف

للترند

الرب والله رجوجو — ترجمه — الناشر دار المعرفة

تطلب من

للمؤلف : ٢٦ شارع محمد بسيون — القاهرة

الموزع : مطبعة المعرفة — عمارة مصر للتأمين — ميدان لاطوغل

رقم الإيداع ٤٠٧٥

لغة ١٩٨٠

مطبعة المعرفة

التمن ٧٥ قرشاً

اقرأ ...
ثم أعد القراءة
... بتأنٍ

الناشر
مؤسسة المصري للكتاب